جامعة طنطا

كلية الحقوق

المؤتمر العلمي الرابع بعنوان: "القانون والإعلام"

التغطية الإعلامية للهجرة السرية في الجزائر

دراسة تحليلية لعينة من الصحف ليومية الشروق الجزائرية

الأستاذ: محمد غزالي (جامعة سطيف ٢)

الأستاذة: صابر لامية (جامعة سطيف ٢)

ملخص:

قسمت هذه الدراسة إلى ثلاث مباحث بالاعتماد على الانتقال من العام إلى الخاص، وقد توزعت وفقا لمطلب طبيعة الدراسة وقد جاءت كالآتي :

تعرض الباحث للهجرة السرية في الجزائر ومحاولة إلقاء نظرة حولها، والإطار التاريخي الذي نشأت فيه، والهجرة السرية من خلال الصحافة المكتوبة من خلال المحاور المعتمدة في التعامل معها، ودورها في دمج المهاجرين في المجتمع المضيف واتجاهاتها ومقارباتها والصورة النمطية المنجرّة عنها في الصحافة المكتوبة ومختلف الحلول المقترحة، ولقد احتوت الدراسة الإطار المنهجي، وتم فيه توضيح المنهج المستخدم في الدراسة والذي تمثل في منهج تحليل المضمون، حيث تم الاعتماد على الفئات التالية :

عدد المواد الإعلامية، طبيعة العناوين الصحفية، موقع النشر، المساحة، المادة المصورة، الكاتب، المصدر، الشكل، يوم النشر، مفهوم الهجرة السرية، أسبابها، اتجاه المادة الإعلامية، مرجعية التغطية، آثار الهجرة السرية، الجمهور المخاطب، الوسيلة المستخدمة في الهجرة السرية، ومختلف خصائص المهاجرين السريين، والحلول المقترحة من طرف الصحيفة.

والمستوى التعليمي والحالة الاجتماعية لأفراد عينة البحث ووجود الأولاد لدى عينة الدراسة والمسئول عن إعالة الأسرة ورأي أفراد العينة من مكانة الأب داخل الأسرة في المجتمع المعاصر وموقف المبحوثين من العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع ومن الطرق المتبعة في تنفيذ الحقوق الشخصية ومدى شعورهم بالمساواة في الاستفادة من الحقوق إضافة إلى رأي المبحوثين حول نظرة المجتمع إلى الإنسان و المال في الوقت الحاضر. وقد استعمل الباحث التهميش على الطريقة الانجليزية وذلك ربحا للوقت والجهد.

طرق الهجرة السرية من الجزائر إلى أوروبا :

تشكل سردينيا بالفعل ممر لعبور المهاجرين السريين من شمال أفريقيا، خاصة من الجزائر عبر خط (ترابانى – كالياري)، وهو الخط البحري الذي فتح في القرن التاسع عشر، حيث أصبح هذا الخط ينتهي بمجموعة من الموانئ الصغيرة في سردينيا بسبب تدفق المهاجرين السريين، وهو الموقف الذي يحول منطقة شبه الجزيرة الإيطالية إلى منطقة مستهدفة في الواقع، حيث تبقى روما في شمال البلاد هي المقصد الرئيسي لأولئك الذين يصلون ميناء" فيوميتشينو" من الخارج، وترتبط سردينيا مع كالياري من خلال التعاملات اليومية ومنها إلى ميناء "سيفيتافيتشيا" وأخيرا إلى نابولي وهو الأمر الذي جعل سردينيا تشكل الخلفية الطبيعية لروما، وبالتالي، فإن سردينيا هي منطقة حدودية تستحوذ على أكثر موانئ الوصول المرتبطة بخطوط الملاحة مع الموانئ الأجنبية، ونادرا ما تكون الوجهة النهائية مدن مثل لومبارديا ولاتسيو حيث كان الكثير من المهاجرين السريين يتبعون مسار(فينتميليا – جنوه – بورتو توريس – كالياري)، كما أنّ سردينيا تعتبر المنطقة الأولى وبوابة المقصد في إيطاليا، كما تشكل رفقة صقلية مناطق عبور ولا سيما في "ترابانى"، أو عن طريق موانئ "بوجليا"و" ترينتينو"و" ألتو أديجي" خصوصا للذين يأتون من أوروبا الوسطى والشرقية، ويبدو أن سردينيا قد دخلت في الواقع ضمن المناطق التي تؤخذ بعين الاعتبار بالنسبة للفقراء بسبب بعض العوامل المحلية التي تشجع الوافدين الجدد، والاستقرار النسبي الموجود بها، وغض الطرف من الحكومة الايطالية، إضافة إلى تزايد حس الضيافة في سردينيا، وكذلك عمل الهياكل التنظيمية والتي تتراوح ما بين رابطات الأجانب والجمعيات المختلطة الجنسيات والتي تلعب دور الوسائط الثقافية، ويوجد ما يقرب من ٤٥ بلدة ساحلية في سردينيا أهمها:" أسيميني، بيري، كابوتيرا، إيلماس، سانت إيلينا، مونتسيراتي"، ووفقا لتعداد سكان الدولة الايطالية، فإن سكان سردينيا يشكلون ما نسبته:(١,١%) من مجموع سكان إيطاليا في عام٢٠٠١، وتستند سردينيا على الأنشطة البحرية، والزراعة وتربية الماشية وعلى مجال النقل البحري وبناء السفن وجميع الأنشطة، أما الصناعة فهي ممثلة تمثيلا ضعيفا بين جميع القطاعات الرئيسية، أما بالنسبة لسوق العمل فهو ضعيف ولا يتيح فرصا كثيرة للعمل مما يجعل الجزيرة تشكل منطقة للعبور فقط.

الإطار التاريخي لظاهرة الهجرة السرية من الجزائر إلى أوروبا:

إن حركة الهجرة ليست ظاهرة جديدة في تاريخ الإنسانية، فالاكتشافات، والفتوحات والنكبات والنزوحات الجماعية وكذا البحث عن مستقبل واعد نتج عنه أشكال متعددة للهجرة وفي حقب مختلفة ويكفي الاستشهاد هنا بنماذج من هجرات الأنبياء عليهم السلام، ولعل الفهم العلمي للصور والتمثيلات التي تؤطر سلوك الأفراد والجماعات اتجاه ظاهرة الهجرة، يستدعي إنجاز حفريات في ماضيها البعيد والقريب وإذا استحضرنا هذه المعادلة، قلنا إن ظاهرة الهجرة ما بين الجزائر وأوربا كانت في البداية أوربية نحو الجزائر، فقد انطلقت هجرة الأوربيون إلى شمال إفريقيا منذ

النصف الثاني من القرن التاسع عشر وامتدت إلى النصف الأول من القرن العشرين، وتعتبر الهيمنة الإمبريالية الفرنسية على مجمل المنطقة المغاربية بداية تاريخية ومرجعية لمسلسل النزوح العمالي إلى فرنسا بصفتها القبلة الأولى لسكان شمال إفريقيا على الخصوص ليشمل فيما بعد مسلسل الهجرة مجمل القارة الأوربية، ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى وجدت الحكومة الفرنسية آنذاك بالجزائر مصدرا خصبا لليد العاملة، واستمرت هذه الهجرة رغم حصول البلدان المغاربية على استقلالها السياسي، فوتيرة الهجرة لم تتراجع بل ارتفعت خاصة بعد أن وجد العديد من سكان القرى أنفسهم بدون شغل لتشهد الجزائر بعد الاستقلال هجرة قروية ضاعفت من مشاكل المدن، حيث انتشرت دور الصفيح لتطفو مشكلة البطالة والتشغيل على السطح، في نفس الوقت كانت فرنسا تعيش أزمة ركود اقتصادية ولكن من نوع خاص، ففرنسا بعد الحرب العالمية الثانية فقدت الآلاف من شبابها خلال الحرب، ولأجل إعادة بناء ما دمرته الحرب كانت في حاجة ماسة إلى موارد بشرية.

لهذه الأسباب لجأت فرنسا إلى إبرام اتفاقيات شراكة تخص هجرة اليد العاملة مع دول المغرب العربي في بداية الستينات، هذه الهجرة إلى أوربا سوف توازيها إرشادات و توجيهات من طرف الدولة، خاصة في مطلع السبعينات وذلك لفشل مخططات التنمية في امتصاص أفواج البطالة، فعملت الدولة على تشجيع هجرة العمّال، عبر سياسات مناسبة وكذا تطوير وتنظيم الأجهزة الإدارية الموجهة للهجرة لتقديم الخدمات الاجتماعية للمهاجرين خاصة وأن عائداتهم كانت مهمة من العملة الصعبة، إن هذا التشجيع الصريح للهجرة وجد صدى لدى كل الفئات المهمشة ليرتفع عدد المهاجرين ولم تعد الهجرة تقتصر على فرنسا، بل تم الوصول إلى كل دول أوربا خاصة التي ربطتها بالجزائر اتفاقيات تخص هجرة العمال كهولندا إيطاليا وألمانيا وفي وقت لاحق إسبانيا، إلّا أنه وإبان النصف الثاني من عقد السبعينات تقلصت الهجرة الجزائرية نتيجة تأزم الأوضاع الاقتصادية العالمية على إثر الأزمة البترولية لسنة ١٩٧٤، بعد ذلك اتخذت معظم دول أوربا إجراءات وقوانين لإيقاف تدفقات الهجرة، بعد أن مسّت البطالة العمال الوطنيين، وتنامت أحقاد الأوروبيين وعنصريتهم على العمالة الوافدة، ونتيجة لذلك اتخذت معظم دول أوربا إجراءات لإيقاف الهجرة، ففي فرنسا أعلنت الحكومة في سنة ١٩٧٤ عن إيقاف الهجرة، وفي نفس السنة تقدمت سويسرا بمشاريع قوانين للحد منها، وفي نفس السياق أوقفت ألمانيا وكذا الدانمرك الهجرة سنة ١٩٧٣، والسويد والنرويج سنة ١٩٧٤، وفي نفس الوقت لم تعد هذه الدول تسمح للمهاجرين بلم الشمل، حيث أخضعت التجمع العائلي لمراقبة إدارية صارمة، وعموما تعتبر سنة ١٩٧٤ سنة تحول مرجعية في تاريخ الهجرة الجزائرية إلى أوروبا، إذ شجّعت هذه الأخيرة المهاجرين الذين يوجدون في وضعية قانونية على العودة إلى بلدانهم الأصلية مقابل منح وتشجيعات مالية، ومع بداية سنوات الاستقلال شهدت الجزائر هجرة العديد من الطلبة نحو أوروبا من أجل استكمال دراستهم الجامعية في عدة شعب خاصة الطب الصيدلة، والهندسة، حيث كانت الجامعات والمعاهد الأوربية وخاصة

الفرنسية تفتح أبوابها في وجه الطلاب الجزائريين المتفوقين، حيث عملت على استقطاب الأطر المؤهلة وتسهيل اندماجهم في المجتمعات الأوربية فتكونت بذلك جالية مؤهلة ومثقفة في أوروبا إلى جانب العمال، وإدراكا من الدول الأوربية بأن أزمتها الاقتصادية تستدعي إيقاف تدفقات المهاجرين القادمين من دول الجنوب اتخذت فرنسا إجراءات أمنية صارمة، تمثلت أساسا في فرض التأشيرة visa لترابها الوطني منذ سنة ١٩٨٦، تلتها بعد ذلك دول المجموعة الأوربية، التي وضعت قوانين دقيقة للتقليل من عدد الحاصلين على التأشيرة وتكرس ذلك من خلال التوقيع على اتفاقية "شينغن" ،خاصة بعد توقيع إسبانيا التي فرضت تأشيرة الدخول إلى أراضيها سنة ١٩٩١، ولكون اتفاقية "ماستريخت" تنص على رفع الحواجز الجمركية والمراقبة الحدودية بين دول أوروبا مع ضمان حرية تنقل البضائع والأشخاص الأوربيين وزجر الباقي، لذلك فدخول التراب الإسباني من المفروض أن يكون صعبا، لأن المرور من إسبانيا إلى باقي دول " شنغن " جد سهل، وحرصا منها على تأمين الحدود الخارجية قدّم الإتحاد الأوربي مساعدات لإسبانيا وإيطاليا لتعزيز الحدود الجنوبية.

إضافة إلى هذه التدابير شهدت الجزائر تدهورا لأوضاعها الاقتصادية لغياب سياسة تنموية شاملة،والنتيجة هجرة قروية نحو المدن بكل ما تطرحه من مشاكل ديمغرافية، ناهيك عن أفواج المعطّلين التي تلفظهم الجامعات والمعاهد عبر ربوع الجمهورية، فلم يبقى أمام الشباب الجزائري من حل غير ركوب مخاطر المتوسط وتحمل إهانات الأوربيون، كل هذه الأسباب وأخرى كانت سببا في ظهور الهجرة السرية خاصة مع مطلع الثمانينات حيث اتجهت الأفواج الأولى من المهاجرين السريين نحو شبه الجزيرة الإيبيرية، ومع النجاح الذي حالف هذه الأفواج الأولى نشأت شبكات من المهربين تعمل على تهريب البشر، لهذا كانت ظاهرة الهجرة السرية كرد فعل طبيعي مقابل القيود المفروضة على حرية التنقل بين الدول تبدو مقبولة عندما يتعلق الأمر بأشخاص راشدين يعون جيدا مخاطرها وقادرين على تحمل آثارها في المستقبل ويختارون طرقا انتحارية للهروب من وطنهم، حتى أصبح الحديث عن ظاهرة الهجرة السرية للشباب الجزائري نحو أوربا، أمرا واقعيا لا مفر منه.

١ – الهجرة السرية في الصحافة المكتوبة:

الملاحظ أن بعض الباحثين في علوم الإعلام والاتصال وكذا علم الاجتماع تطرقوا إلى مواضيع عديدة حول الجاليات العربية المقيمة بأوروبا وظروف هجرتها وإقامتها، ولكن القليل منهم من تطرق إلى دراسة دور الصحافة المكتوبة في إدماجها وسط المجتمعات الغربية، وتنمية مؤهلاتها الفكرية الثقافية، السيكولوجية، السوسيولوجية والمهنية بما يتناسب بحضارة البلد المضيف من خلال الصورة التي تنعت بها هذه الجالية في الصحافة المكتوبة، وعلاقة الصورة التي يرسمها الأخصائيين الإعلاميين للحد من التمييز العنصري.

إذ تصبح الهجرة من بلاد إلى أخرى ظاهرة عالمية واسعة، حتى يصل عدد المهاجرين سنويا إلى أكثر من خمسين مليون إنسان، و بطبيعة الحال تكون الهجرة من البلدان العربية الفقيرة المتخمة بأشكال البطالة وعدم الاستقرار، إلى بلاد مزدهرة بحاجة إلى أيد عاملة، ومن هنا فإن الأكثرية الساحقة من الهجرة السنوية إلى أوروبا هي من شمال إفريقيا، وقد شاهدنا على شاشات التلفزيون، أكثر مرة من قوافل الشبان الجزائريين وهم يخاطرون بحياتهم، في طريق التسلل إلى أوروبا عبر "قوارب الموت"، ما يعتقد منطقيا أنه ما دامت مناطق واسعة في العالم تشكل بؤرة للحروب الأهلية والعرقية وبالدكتاتورية الإرهابية الدموية، البطالة الفقر والتهميش الإداري والفساد، فإن الهجرة القانونية سوف تستمر، كما ستستمر الهجرة السرية"، شأنها شأن الهجرة من البلدان العربية إلى الأمريكيتين التي بدأت في القرن الثامن عشر واتسعت أكثر في القرن التاسع عشر، هربا من الفقر والجوع وهربا من البطش وأخذ الشباب العربي بالقوة إلى الخدمة في الجيش، حيث تجمع الإحصائيات الحديثة أن هناك الملايين من المهاجرين في أوروبا، جلهم من أصل عربي، وإن كانت الهجرة العربية مستمرة إلى أوروبا، بوجهيها القانوني

وغير القانوني، فهي في تزايد مستمر شأنها شأن الهجرة إلى كندا و أستراليا و إلى دول

أمريكا الجنوبية، وجدير بنا الذكر أن هناك جاليات عربية، بعضها كبير ومؤثر في الحياة العامة للبلد المضيف، وما يلاحظ اليوم ومع اتساع الهجرة إلى الغرب من العالمين العربي والإسلامي، هو تمركز فئات من هذه الهجرة العربية في مناطق محددة، ويتجلى ذلك في جزائريي فرنسا وأتراك ألمانيا، ويلاحظ ذلك بالنسبة للعرب والأفغان والباكستانيين في بريطانيا.[1] رغم أن قوانين أوروبا تعطي فسحة واسعة أمام مهاجريها العرب وغير العرب، للمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم وطقوسهم الدينية، انطلاقا من الديمقراطية الإنسانية السائدة في أوروبا (احترام الآخر)، فإن ما يلاحظ و بأسف، أن الأحزاب الفاشية والعنصرية المتطرفة في كل دول أوروبا تقوم بدعاية إعلامية كبيرة عنصرية (باستعمال كل أجهزة الإعلام و وسائله)، من خلال التحريض العنصري ضد العرب، الإسلام، المسلمين، و كل المهاجرين العرب المقيمين في أوروبا على وجه الخصوص، وهم ليسوا الذين قدموا في آخر عشر أو عشرين سنة، ففي فرنسا مثلا مواطنون ممن قدم أجدادهم إليها قبل قرن من الزمن، ومع هذا يتعرضون للتحريض والمضايقات، حيث اندلعت مصادمات عنيفة بين قوات الشرطة الفرنسية و شباب مهاجرين معظمهم من شمال وغرب إفريقيا، احتجاجا على الأوضاع المزرية التي يعيشون فيها والتمييز العنصري داخل المجتمع الفرنسي، وقد أدّت هذه الصدامات إلى إحراق ١٩٠٠ سيارة واعتقال ١٢٥٠ شخص إضافة إلى أعمال نهب وسلب واسعة النطاق، وكشفت أحداث العنف التي اشتعلت نهاية عام ٢٠٠٥ في ضواحي باريس عن حجم فشل ديناميكية إندماج المهاجرين العرب والأفارقة الذين غدوا يشكلون أكبر الأقليات وأكثرها تهميشا وإقصاءا في النسيج المجتمعي

[1] . QuiminaL Catherine : 2002, p106.

الأوروبي بصفة عامة، مع أن مطالب المحتجين لم تتجاوز المطالب الاندماجية المألوفة من حقوق تعليم وتشغيل ورعاية صحية، إلا أن الانتفاضة الدامية طرحت بقوة الإشكالات الجوهرية المتعلقة بالنموذج الاجتماعي الفرنسي الذي تتشكل خصوصيته المميزة في سمته المركزية في مقابل نظام التعددية الثقافية القومية القائم في أميركا ومعادلة المجتمع الأهلي التعددي في بريطانيا فقد طرحت هذه الإشكاليات العصرية من قبل، في سياق الجدل الواسع للهوية الأوروبية والذي طغى على الساحة الإعلامية الأوروبية عام ٢٠١٠، كذلك الضجة الإعلامية التي دارت حول بناء المآذن من عدمها على التراب الأوروبي، و كذا الجدل الذي خلّفه قانون تحريم الإشارات الدينية، في المدارس الحكومية والذي عرف بقانون الحجاب، كما طرحت في أوجّ الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام ٢٠٠٠ عندما اندلعت موجة دامية من العنف بين الجاليتين اليهودية والعربية في بعض الأحياء الباريسية المشتركة، فما بينته هذه الأحداث المتلاحقة هو انتقال المجتمعات الأوروبية من نموذجها المركزي، الذي بلورته فكريا قيم عصر الأنوار، وجسدته مؤسسيا معايير العلمانية الجمهورية، منذ صدور قانون الفصل بين المؤسستين الدينية والسياسية عام ١٩٠٥.

٢ – محاور الصحافة المكتوبة في التعامل مع الهجرة السرية:

رغم اعتباره متطورا ويعمل تحت شعار العدالة والمساواة فقد ورّطت الصحافة المكتوبة في أوروبا عددا كبيرا من العوامل على اختلاف مستوياتها، في تناقضات ومتاهات لا مخرج منها، وبحصرنا لمعظم التماثلات التي لها علاقة مع مقاربة الهجرة عبر الصحافة المكتوبة، فإن المعالجة الصحفية للمهاجرين السريين تضغط خصوصا على خطابات ونقاشات معممة تدور حول أربع محاور هي كالآتي:

– المحور الأول: محور أمني يربط المهاجرين باللاأمن، والعنف المدني والجنح.

– المحور الثاني: محور الهوية ويتعلق ببعض التصرفات الديمقراطية والهوية الوطنية.

– المحور الثالث: اجتماعي اقتصادي، حيث ربط المهاجرين بالبطالة والفقر وأصبح المهاجرون السريون مسؤولون عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية المتدهورة في بعض القطاعات الإنتاجية في أوروبا.

– المحور الرابع: وهو سياسي يكشف أن تلاعبات الحملات الانتخابية أصبحت شيئا فشيئا محددة بالخطابات العنصرية وكره الأجانب.

٣ – الصحافة والمهاجرين السريين:

لا تعمل المؤسسة الإعلامية في فراغ ولا تنطلق من الخواء، إنّ المؤسسات الإعلامية وبغض النظر عن ٠شكل الملكية، ونوعية النظام، وشخصية ونوعية الوسيلة الإعلامية، فهي عبارة عن أجهزة معقدة أوجدتها قوى معينة، من أجل تحقيق أهداف معينة، فالحقيقة الساطعة هي أن كل مؤسسة إعلامية معينة منهمكة في تحقيق و خدمة مشروع

حدّدته القوى التي تمتلكها و توجهها وتحدد منطلقاتها، ولا يخرج الانصياع الإعلامي، بوسائله المختلفة من صحافة مكتوبة خاصة أو عامة، ومن إذاعة وتلفزيون عن هذا الإطار، أمّا إذا نظرنا إلى علاقة الصحافة المكتوبة بأزمة المهاجرين السريين في، فنلاحظ أن الصحافة المكتوبة هي خط التماس الأول للتعامل مع الظاهرة نظرا لآنيتها، وموضوعها ودوريتها، وتنوعها وهي أمور تجعلها الأكثر تأهيلا للتعاطي مع الظاهرة، بعكس البحث أو الكتاب أو المسرحية، أو الرواية أو الفيلم، والتي بحكم طبيعتها تحتاج إلى زمن أطول للتعرض للأزمة ومعالجتها، فالصحافة المكتوبة المعاصرة أضحت الشاشة العريضة التي تظهر عليها وتتكشف فيها مختلف الصراعات والأزمات في مختلف المجالات، وفي ضوء ذلك يمكن فهم انجذاب الفعاليات والمجالات الأخرى (السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية) .[٢] واندفاعها صوب الساحة الإعلامية لتشخيص واقعها، لمعالجة أمورها وتقوية آثارها، ومخاطبة الجماهير، ولاشك أن الوضع يؤدي بنا للقول أن ظرف الأزمة استثنائي، ويستدعي تغطية صحفية تتسم بقدر عال من الحذر والتحفظ وربما التكتم والسرية، إذ كان للبعد الإعلامي كبير الأثر على نشأة وتطور مجريات أزمة المهاجرين السريين.

٤ – دور الصحافة المكتوبة في دمج المهاجرين في المجتمع المضيف:

إنّ واقع التنوع الثقافي والقومي الذي أصبح السمة الغالبة على القارة الأوروبية يقتضي نمطا جديدا من ضبط وإدارة الرهانات المجتمعية بالإقرار بمعادلة الاختلاف والتعددية، ودفع استحقاقاتها الفعلية، بدل التنكر لها والتحايل عليها بالإجراءات القانونية، فمن الخطأ اختزال مأساة الجاليات العربية الإسلامية في أوروبا في موضوع الجريمة، الذي يستأثر على نطاق واسع باهتمام الطبقات السياسية، كما أن تحميلها خلفيات دينية أو عقدية خطأ في التحليل، ووهم في الرؤية والاستقراء، بل أن أحداث الإرهاب الفظيعة التي اجتاحت الدول المستقطبة للهجرات العربية، وأبرزها اعتداءات مدريد في مارس ٢٠٠٢ ولندن في ٧ جويلية ٢٠٠٥ فضلا عن زلزال ١١ سبتمبر وذيوله داخل المجتمع الأمريكي و الغربي، كشفت عن جوانب أخرى من المعضلة، ومع التشديد على أن أحداث الإرهاب لا تبرر ولا تستساغ بأي وجه، إلا أن الفظائع المذكورة تفسر بكونها إخفاقا خطيرا في مسلك تعايش المهاجرين وسط المجتمع الغربي في إحدى دوائره المحورية (دائرة الهجرة).[٣] ولهذا الفشل أسباب عديدة، نلخصها في الإشارة إلى معطيات ثلاثة رئيسية حسب رأينا تستحق وقفة انتباه وهي كالتالي:

أ – في النسيج الاجتماعي.

لم ينجح النسيج الاجتماعي في الدول الأوروبية عموما، في استيعاب الهجرات العربية، بحسب وتيرة الهجرات

---

[2] . Eccessiva RIA Gabrielli e altri, l'integrazione dei lavoratoriimmigratinell' economia italiana, Darorakny per la pubblicazione, Roma, Italia, 2007.

[3] . Wievorka Michel : 1996, p 84.

اليهودية والأوروبية الجنوبية (الجاليات اليونانية والإيطالية) والشرقية (خلال العهد الشيوعي)، حيث ارتبط هذا المكون بالتركة الاستعمارية أو الطفرة الصناعية، التي تلت الحرب العالمية الثانية، فإذا كانت التركة الاستعمارية لم تحسم في صالح تعويض الأضرار والمآسي التي انجرت عن جرائم الاحتلال، فإن انهيار الطبقة العاملة في العصر الصناعي الثاني قد حكم على الأجيال الجديدة، من المهاجرين العرب والأفارقة بالتهميش والإقصاء (لتقلص الحاجة الموضوعية إلى العمالة اليدوية).

ب – في الاندماج الفاعل في المجتمع:

لم تتمكن الجاليات المهاجرة، وعلى الخصوص وجه، العربية والمغاربية من الاندماج الفاعل في مجتمعاتها، بالتحول من نموذج "المهاجر الضيف" إلى نموذج " المواطن المنتمي"، فضلّت اعتبارات الخصوصية العقدية والثقافية عائقا أمام هذا التحول المنشود، دون القدرة على التوفيق بينها ومقتضيات المواطنة داخل سياق مجتمعي مغاير من حيث الخلفيات التاريخية والحضارية لأرضية الانتماء الأصلية فمع أن بعض وجوه النخبة الفكرية المسلمة في أوروبا رفعت شعار: "الإسلام الأوروبي" ودافعت عنه بصفته إطارا مغايرا لتجارب المجتمعات الإسلامية، إلّا أن الحقيقة البادية للعيان هي أن الجمعيات والتنظيمات المهتمة بالجاليات في أوروبا، لا تختلف في شيء عن مثيلاتها في العالم المتخلّف، حيث تنتشر أكثرها في التقوقع والانغلاق. [4]ولا بد في هذا الباب من الإشارة إلى جهود المجلس الأوروبي للإفتاء الذي لا يزال في خطواته الأولى لضبط مدونة حلول المشاكل وتحديات المهاجرين السريين في الغرب، بحسب مقاييس (فقه الأقليات) الذي يحاربه الكثير من الفقهاء.

ج – في الحد من أزمة مجتمع الهجرة:

تعاني إستراتيجية الدول الأوروبية، في التعامل مع حركة الهجرة القادمة من إفريقيا عموما وشمال إفريقيا خصوصا من تناقض حاد بين مقتضيات الانفتاح غير المقيد ، لتسهيل حركة البشر والبضائع بحسب منطق العولمة الاقتصادية وبين الميل إلى الانكفاء على الذات وغلق الحدود من الذين يهددون الأمن الأوروبي، ولقد عكست قوافل الموت السوداء على الحدود الأوروبية الجنوبية هذه الحقيقة، وبينت المنظومة الكونية أنّ حقوق الإنسان تتوقف عند حدود المصالح الحيوية، وأنّ لحركية العولمة إيقاعات متباينة وليست هي بالفضاء المفتوح الموحّد، فالأزمة التي يعيشها المهاجرون لا تفسر خارج هذه المعادلة الثلاثية التي لخصناها في عوائق الاندماج المتصلة، وإما بطبيعة النسيج الداخلي للمجتمع الأوروبي أو تركيبية مجتمع الهجرة ذاته، فصحيح أن مشاكل مماثلة واكبت مسار اندماج الجاليات اليهودية والأوروبية الشرقية والجنوبية في البلدان الصناعية الأوروبية، ولكن عوامل الانسجام الثقافي حدّت في نهاية المطاف من هذه المصاعب حتى ولو كانت بعض آثارها لا تزال بادية للعيان، فالإشكال الكبير المطروح

[4] . Principe Lorenzo : 1995 p 113.

اليوم، على كبريات البلدان الأوروبية التي استقطبت مختلف الهجرات الكثيفة، يتلخص في السؤال التالي : هل ثمة موقع داخل نسيج هذه المجتمعات لمكون أجنبي يتشبث بخصوصيته وسماته المميزة ضمن ثوابت ونظم النموذج المجتمعي القائم والمتعلق بوسائل الاتصال؟ ومهما كانت الإجابة على هذا السؤال، فإن الحقيقة المؤكدة هي أن المكوّن الأجنبي قد أصبح بالفعل جزءا رئيسيا من تركيبة هذه المجتمعات، حتى وإن لم يكتمل مسار اندماجه فيها، مما سبق يتضح لنا جليا بان العلاقة جدّ معقدة بين الشرق والغرب، فالأزمات العرقية لم يتم حلها حتى الآن بشكل جذري، فهي لا تزال كالجمر المستعر تحت الرماد، فكل أوروبا تتحدث عن هؤلاء الشباب الذين يحرقون السيارات والممتلكات ويشتبكون مع رجال الشرطة، وبعد أن تهدأ الأحداث سيتوقف الحديث عن المشاكل التي أدّت إلى هذه المصادمات وينسى الجميع ما حدث، لتبدأ موجة جديدة من الأزمات التوترات...الخ، رغم لغة الحديث المشتركة، والتي تجمع بين كافة الفئات والأقليات في أوروبا، تظل الهوة التي تفصلهم كبيرة، وخاصة الأقلية العربية المسلمة، فنلمح على الصعيد الدولي شقاقا واسعا بين العرب والغرب، ومن وجهة نظرنا فإن الهوة التي تفصل المشرق عن الغرب اليوم هي أعمق من تلك التي كانت تفصل بينهما قبل عشرين أو ثلاثين عاما، فالعرب المسلمين في أوروبا يواجهون أزمة عصيبة في هويتهم، فهم يشعرون أنهم ينتمون إلى أوطانهم الأصلية، إضافة إلى انتمائهم إلى البلد الذي هاجر آباؤهم إليه، ونظرا للفروقات الشاسعة بين العالمين يشعر الشباب العربي في أوروبا و بفعل الصحافة المكتوبة الأوروبية بالتمزق الحاد، ولا أحد يهتم بكيفية معالجة هذا التمزق، بل لا أحد ينظر إليه بجدية.

٥ – اتجاهات الصحف المكتوبة الأوروبية في معالجتها للهجرة السرية:

من مجموع الاتجاهات في المعالجات الصحفية لمواضيع الهجرة تستخدم الصحافة الأوروبية قوتها الضخمة و نفوذها الواسع، فقط لخدمة مصالح مُلّاكها، الذين يُروّجون لوجهات نظرهم الخاصة، خاصة في السياسة والاقتصاد، في حين يُهملون وجهات النظر المعارضة، أو يقللون من شأنها، إذ كانت المعالجة الصحفية للهجرة السرية بصفة عامة واحدة من أهم الظواهر إثارة على الساحة، حيث جعلت منها حدث إثارة بالنسبة للمجتمع الأوروبي، وبإثارة الحدث في أعدادها تضمن الصحف مبيعات أكبر وبالتالي دخل أوفر.[٥]

– بعيدا عن المسئولية الاجتماعية تعتمد الصحافة المكتوبة الأوروبية على الإثارة والتهويل و يبدو ذلك واضحا في تناقل الأخبار المتعلقة بالأحداث التي تندلع بين الشباب المهاجرين السريين وقوات مكافحة الشغب، إذ تقاوم الصحافة المكتوبة التغيير وتعمل على استمرار الوضع الراهن، فتكرار مساحة مواضيع المهاجرين السريين في الأعداد المتزامنة مع أحداث باريس ٢٠٠٥، زاد من اتساع رقعة الشغب بباريس و خارجها، لتمسّ أكثر من ٣٠٠ مدينة فرنسية، بل تعدت الأحداث حدود الجمهورية الفرنسية، لتنتقل إلى ألمانيا، بلجيكا، هولندا وغيرها، حيث كانت

[5] . Eccessiva RIA Gabrielli , 2007.

المعالجة الصحفية لقضايا المهاجرين السريين تتسم بالعشوائية والارتجالية، وكانت بعيدة كل البعد عن التخطيط الإعلامي الواعي، الهادف إلى احتواء الأزمة بدلا من إشعال نارها، حيث ضاعفت التغطية الصحفية الخلافات بين المهاجرين السريين والسلطات الأوروبية.

– تعتمد الصحافة المكتوبة في أوروبا على المبالغة والتضخيم اللتان تصلان لدرجة الإثارة والتهويل بهدف التأثير على الرأي العام والسيطرة على قناعاته، ويتضح ذلك من خلال المحاور التي تدور عليها الأحداث المتناولة في الصحافة المكتوبة، حيث يظهر جليّا وفقا لكثافة التكرار والاهتمام، طغيان مواضيع جدّ سلبية بالنسبة للمهاجرين السريين هي: الانحراف واللاأمن بنسبة كبيرة في تغطيتها كما يتّضح عدم اهتمام الصحافة المكتوبة بالأحداث المتعلقة بالمهاجرين السريين، وتركيزها على الأمور السطحية والمثيرة، أكثر من اهتمامها بالأمور المهمة، إذ دوما ما تطرقت إلى الفئات المهاجرة من منظور سلبي هادف للإثارة، قصد جلب اهتمام الرأي العام ومحاولة توجيهه، مع محاولة تقديمها – الصحافة الأوروبية – للترفيه في مادة إعلامية تفتقر إلى المضمون، وتعوزها القيمة الخبرية.

– كما تنتهك الصحافة المكتوبة الأوروبية حياة الأفراد الخاصة وتحطّ من كرامتهم، وليست الصعوبة، التي يلاقيها بعض المهاجرين السريين المتّهمين في الحصول على محاكمة عادلة بسبب تسبيقات الصحافة في النشر سوى وجه لهذه المشكلة، فتسبيقات الصحافة المكتوبة عقّدت مشاكل المهاجرين السريين، وأقصتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من المجتمع الأوروبي.

– تتعمّد الصحافة المكتوبة الأوروبية تغييب مشاركة المهاجرين السريين والاستخفاف بقيم الهوية، وكذا الديانة، وإلى حد كبير نجحت الصحف في تشكيل رأي عام معاد للإسلام والعرب، لتصنع منه رأي عام ضاغط ضد كل من هو مناوئ للمهاجرين السريين، وعلى قول أبرا هام لنكولن: " كل من يستطيع تغيير الرأي العام يستطيع تغيير الحكومة"، ولعل سيطرة اليهود على الأغلبية الساحقة لوسائل الإعلام لخير دليل على ذلك، ونتيجة لذلك، يتعرض كل من هو معادي و معارض (دينيا، ثقافيا، إيديولوجيا أو حتى فكريا..) لهذه الفئة المالكة، والمسيطرة على وسائل الإعلام لخطر الإقصاء، التهميش والتمييز.

– تسعى الصحافة الأوروبية لترسيخ عقيدة تؤمن بالبروز الفائق، والحكم العاجل للظواهر، ويتجلى ذلك في تسبيقات الحكم على أحداث الهجرة السرية، إذ سرعان ما تختلق حدثا لتجعل منه قضية رأي عام، وسرعان ما تصدر أحكاما بحق الفئات المهاجرة، دون حتى معالجة الأحداث معالجة كافية ولامَّة بمسبّباتها، و بترسيخها للحكم في ذهن المجتمعات الأوروبية المستهلكة للصحف، كما تقود في الوقت نفسه الصحف الفرد المحكوم عليه، إلى الاعتقاد بأن لا جدوى من المعارضة أو الشكوى دافعة إياه إلى التحدي، وبأن الديمقراطية لا لزوم لها كون الحكم صار نهائي ومطلق.

– كما تعتمد الصحافة المكتوبة الأوروبية على التضليل المتعمد من خلال بث معلومات مغلوطة، فحضور الصحافة في مسرح الأحداث التي تغطيها، يخلق مزيدًا من الأخبار التي تتفنن في معالجة الحدث من صحافي لآخر، ومن جريدة لأخرى، لكن الكل يتفق على إقصاء وتهميش الأوروبيين لذوي الأصول غير الأوروبية، كما تساهم في زيادة حجم المعاناة الاجتماعية والاقتصادية للفئات المهاجرة، إذ نادرا ما تتطرق إلى الأسباب التي دفعت بالشباب سليل الهجرة إلى الانحراف، والمواجهات وغيرها من الأمراض الاجتماعية والاقتصادية، أو حتى محاولة التطرق لجذور هذه الأمراض، ويرجح سبب تفاقم التوتر إلى تفاقم تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمهاجرين، الشيء الذي زاد من ظاهرة شعور الفرد المهاجر بالغربة والانفصال عن المجتمع الأوروبي أي "الشعور بالاغتراب"، فالمهاجر السري عضو في المجتمع الأوروبي بجسده، ولكنه بعيد كل البعد في شعوره بالانتماء إلى هذا المجتمع، فقلبه وعقله في واد آخر مع "الحلم أو الوهم"، الذي خلقته الصحافة المكتوبة عموما، وهو ما خلق هوة كبيرة في الهويّة والشعور بالانتماء إلى المجتمع الأوروبي، و لن نبالغ أن نستنتج أن الصحافة هي أهم عامل أدى إلى أزمة الهوية بالنسبة للمهاجرين السريين، إذ دوما في معالجاتها ما تنظر إليهم على أنهم أجانب دخلاء على المجتمع الأوروبي، الشيء المناقض لأسس ومبادئ الإعلام الغربي الذي يدّعي أن كل جهوده إزاء المهاجرين السريين هي محاولة إدماجهم في المجتمع الأوروبي.

– تتّسم المعالجات المعتمدة على مصادر المراسلين بالذاتية والتحيز، حيث كانت تنشر وجهات نظر أصحابها، عدا الأخبار المستندة إلى مصادر رسمية التي اتسمت بالموضوعية، وما يجدر بنا ذكره هنا هو أن الصحافة الأوروبية تحمل تناقضات عديدة في الحوارات و الشهادات التي تنقلها خلال تغطيتها لمواضيع المهاجرين السريين فكلّ شيء كان مفتعل قصد إثارة أحداث المواضيع.[٦]

وبالتالي يمكن اعتبار أنّ الصحافة الأوروبية قد قضت على الثقافة الرفيعة الحقيقية" المكتوبة المطبوعة" لتحل محلها ثقافة خفيفة سطحية هي "المسموعة المرئية"، ولا تستطيع هذه الأخيرة، بسبب الضغوط الاقتصادية و جمهورها العريض، التعمق في أو التحليل في شتى المواضيع المتعلقة بالهجرة السرية والتدقيق فيها، بل أصبحت تقدم المعلومة السريعة العابرة والمثيرة، وبالتالي ورغم الحرية الضخمة المتاحة لمعظم الصحف المكتوبة، يمكن القول أنها تتصرف بغير مسؤولية، بالرغم من ادعاءها بتحلّيها بالحياد اتجاه المهاجرين السريين، وسعيها جاهدة لإدماج هذه الأقليات، لكن إن قرأنا المقالات التي تكتبها، نفهم أن لا ضمير مهني لها، ولا روح مسؤولية، وهنا نستنتج أن الصحافة الأوروبية أسهمت في صنع فجوة مصداقية بين المجتمع الأوروبي القارئ، وبين قادة مؤسساته المختلفة، من خلال توظيف القيم الصحفية المثيرة الاستعراضية وغير الإيجابية، القائمة على قيم الشذوذ والتطرف والغرابة.

---

[6] . Principe Lorenzo : 1995 p 120.

6 – الصورة النمطية للمهاجرين السريين في الصحافة المكتوبة الأوروبية:

من خلال أزمة ضواحي باريس، أزمة المآذن، أزمة البرقع، نرى و ككثير الباحثين من أن الوقت لا يسير في مصلحة الإعلام الغربي، فالفشل في تقديم إستراتيجية سياسية وإعلامية واضحة قد تساعد في ضم وإدماج شباب المهاجرين السريين العرب المسلمين في المجتمع الأوروبي، قد يدفع الشباب إلى الانزلاق وإلى التطرف، خاصة وسط التطورات التي يشهدها العالم حاليا.

وفي ظل هذه التحولات يلعب الإعلام الغربي (ممثلا في الصحافة المكتوبة) دور رئيسي في الصورة النمطية التي تقدم عن المهاجرين السريين، وازداد هذا الدور بعد التطور المذهل الذي طرأ على الصحافة المكتوبة، أهّلها لأن تمتلك قدرة هائلة على التأثير بعد أن أصبحت في متناول الجميع، ورغم أننا في زمن العولمة وفى ظل ما نشهده من إعلام مضاد للحملة الغربية على العرب والإسلام، فما زال إلى الآن حال وسائل الإعلام والسياسة الإعلامية الغربية تجاه القضايا الخاصة بالمهاجرين السريين العرب كما كان منذ بدايات الإعلام في أوروبا، بل إلى ما قبل ذلك بكثير من خلال الذاكرة الجماعية الأوروبية، إذ لم يحدث تغيّر إلّا على مستوى الشكل والطريقة التي يتم بها تقديم الموضوع ولا تختلف صورة المهاجر السري العربي المسلم في تقديمها من المادة المذاعة عن صورته في الصحافة المكتوبة والأفلام السينمائية والإعلام المرئي.

إن سياسات الصحافة المكتوبة الغربية إزاء صورة المهاجرين السريين العرب والمسلمين في المجتمع تتجاهل التطور الحاصل في دورها وموقعها على الخريطة المجتمعية إذ هناك فرق كبير بين الصورة المرسومة وبين الواقع الديمغرافي والموضوعي، إن الحيز المعطى للمهاجرين السريين في الصحافة المكتوبة الغربية لا يتناسب مع القيم العربية الإسلامية السامية و ما تتطلع إليه من سلام وعدل، فما زالت الصورة السلبية النمطية هي الصورة الطاغية في أذهان المجتمعات الغربية والتي تغذيها وتقدمها الصحافة المكتوبة بشكل مستمر.[٧]

٧ – علاقة الهجرة السرية بالصحافة المكتوبة:

أصبحت صورة المهاجرين السريين واللاجئين والأقليات الإثنية وغيرها مادة دسمة على نحو متزايد للصحافة المكتوبة المرتبطة بها، بالإضافة إلى التهديدات التي أصبحت تشكلها الهجرة السرية على المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، مع إحداث تطور في منحى الانحراف والجريمة والعنف وبالتالي، فإن الصحافة المكتوبة تميل إلى خلق نوع من الترابط الوهمي وذلك بإشراك صورة الأقليات الإثنية والمهاجرين السريين مع الأحداث السلبية، من خلال إستراتيجية تقوم على ثلاث مراحل :

* جذب اهتمام الرأي العام باستخدام مصطلحات محددة مثل: "بيننا" و "هم" و"أولئك"..

---

[7] . Battgay Alain : 2001, p 22.

* ربط صورة المهاجرين السريين بمجموعة من "المشاكل" واعتبارهم دوما متّهمين.

* قيام الصحافة المكتوبة باتخاذ مجموعة صغيرة من القضايا السلبية مثل(محاربة ظاهرة الهجرة السرية واعتبارها غزو، مع التركيز على تهديد المهاجرين السريين وربط صورتهم الإعلامية بالعنف والإرهاب والتفكك الاجتماعي)، وكل هذه الأمور تؤدي إلى إنشاء بعض الصور النمطية والأحكام المسبقة عن المهاجرين السريين.

هذا النهج الذي يشير إلى أن وسائل الإعلام ولا سيما الصحافة المكتوبة، تشارك بصفة مباشرة في خلق الصور النمطية بالتركيز على الأنماط الاجتماعية والمعتقدات السائدة وخصائص مجموعات المهاجرين، خاصة عندما يصنف الشخص المهاجر ضمن مجموعة عرقية معينة، حيث يتم تعيين سمات معينة عادة ما تأخذ الطابع السلبي وهناك تمثيل دائم للأقليات العرقية والمهاجرين في أداء الأدوار السلبية، إلى جانب الوجود القوي للصحافة المكتوبة التي يمكن أن تؤدي إلى توليد المواقف التمييزية لهذه الأقليات، وخلق العنصرية على غرار العنصرية التقليدية، وتحدد هذه الأخيرة على أنها شكل من أشكال العنصرية الحديثة أو كما تسمى:"العنصرية الرمزية".

فوسائل الإعلام الوطنية، لاسيما الصحافة المكتوبة بمختلف أشكالها ومرجعياتها تتناول المواضيع المتعلقة بالهجرة السرية على العموم بكيفية تتميز بالتماثل والتشابه، دون أي تميز أو اجتهاد فعلي خصوصا لاحتياجات المهاجرين السريين وحجم مساهمتها في إعطاء صورة دقيقة عن التحولات الجارية ودفعها إلى الحفاظ على العلاقات مع ثقافات الوطن وتعزيزها، مع ذلك فقضية الهجرة السرية حاضرة بقوة في معظم وسائل الإعلام المكتوبة، والتي تركز على تدبير التحرير وتموقع وسائل الإعلام وشكلها واستخدام الصورة وطبيعة الموضوعات والموضوعات الفرعية ووضع محرري المقالات، مع تجنب الفترات التي يمكن أن تتداخل مع بعض الأحداث، لاسيما عودة المهاجرين إلى بلدهم، والتي تتميز عموما بمعالجة ذات صبغة موسمية، مسلطة الضوء من جهة أخرى على العجز الملاحظ في العرض الإعلامي، وخاصة الصحافة المكتوبة، في الإحاطة بالديناميات التي تتخلل واقع الهجرة، والتي تميزت بغياب إستراتيجية شاملة لمقاربة موضوع الهجرة يلقي بظلاله على مستوى الأداء الإعلامي المتعلق بالهجرة السرية.

٨ – مقاربة الهجرة السرية في الصحافة المكتوبة الجزائرية:

الحديث عن عدم خضوع موضوع الهجرة السرية للتحليل الكافي في الصحافة المكتوبة دائما ما يتمّ حصره في مقاربات توصف بالجزئية والاختزالية، حيث أنها تقتصر على تغطية أحداث رسمية أو متابعات موسمية دونما عمق في مقاربة إشكاليات الهجرة السرية، بالإضافة إلى النزوع نحو تداول صورة كاريكاتورية عن المهاجر السري، وهذا رغم الاهتمام المتزايد الذي عرفه الموضوع منذ عشر سنوات.

حيث يلاحظ عدم التعاطي مع المهاجرين السريين كمواطنين، خاصة في ظل إقصائهم من المشاركة السياسية، ليتم التعاطي معهم في إطار مقاربة اقتصادية (العملة الصعبة) وأمنية (الإرهاب)، هذا بالإضافة إلى سيادة نوع من

الإدراك السلبي لقضايا الهجرة وضعف الوسائل المادية والإمكانيات البشرية لدى الصحافة المكتوبة، وعدم إلمام الصحفي بخصوصية واقع الهجرة السرية وبتطوراتها الثقافية السوسيولوجية، كما أن إكراهات الوسائل المادية تجعل من الصعب إرسال أطقم صحفية لمواكبة هذه القضايا في غياب المردودية، وهشاشة وضعية المراسلين في بلدان المهجر على الصعيدين المادي والقانوني، وما يجب الإشارة إليه أن إكراهات محدودية التوزيع والانتشار بالنسبة للصحافة المكتوبة على عكس القنوات التلفزيونية التي يمكن التقاطها فضائيا عبر بلدان الاستقبال، لهذا وجب بضرورة تطوير إستراتيجية وطنية في موضوع الهجرة السرية، ومكافحة التصنيفات التبسيطية بين الجزائريين في الداخل والخارج على الصعيد الإعلامي درءاً للتفرقة بينهم، وتحسيس الطلبة الصحفيين خلال مراحل التكوين بأسئلة الهجرة، وتشجيع التكوين والتكوين المستمر لدعم جودة المنتج الإعلامي الوطني في مقاربته لموضوع الهجرة السرية، وبحث سبل تعزيز التبادل الصحفي بين الجزائر وبلدان الاستقبال.

– إحداث شبكة صحفيين جزائريين عبر العالم، وإنجاز دراسة لتحديد احتياجات واستقراء تطلعات جزائريي العالم على المستوى الإعلامي، وتفادي الاقتصار على البرمجة الموسمية في التعاطي مع الهجرة ومواكبة ديناميكيتها وباستمرار، وإنتاج برامج محلية في بلدان الإقامة وبلغات الهجرة المتعددة، وتعزيز الانفتاح على كفاءات صحفية من بلدان الهجرة في التحرير على الصعيد الوطني.

– الدعوة إلى إحداث صندوق لدعم الانتاجات المتعلقة بالهجرة، والتفكير في موضوع التعدد اللغوي داخل أوساط الهجرة الجزائرية، وتحرير قطاع الإعلام بما يجعله مستوعبا لكل المبادرات الصحفية الحرة للجزائريين في العالم، بالإضافة إلى الانفتاح على العالم على الصعيد الإعلامي، وتعزيز التحقيق الصحفي المدعوم برؤية تحليلية بما يتطلبه ذلك من مهنية، في ظل غياب وسائل إعلام متخصصة في مجال الهجرة، وتعزيز البحث حول الهجرة السرية في إطار التعامل مع الجالية بالخارج، وإحداث قاعدة بيانات لشخصيات وهيئات مختصة في مجال الهجرة يديرها مسؤولي الجالية الجزائرية بالخارج، ووحدات تدريبية لفائدة الصحفيين بشأن الهجرة السرية في إطار المعهد العالي للإعلام والاتصال.[٨]

– ضرورة تحسين التواصل وحث المسؤولين والمفكرين على الاستجابة لطلبات

الصحفيين وضرورة خفض تكلفة البث عبر الأرقام الاصطناعية وتسطير إستراتيجية محكمة للتعامل مع وسائل الإعلام الدولية وإحداث مراكز ثقافية في الخارج وتسهيل الوصول إلى المعلومة.

– التفريق بين مصطلحي إعلام الجالية وإعلام المستثمرين، مع المطالبة بتنظيم ورشات للتكوين وتأسيس قاعدة معطيات من أجل تسهيل عملية الاشتغال على قضايا الهجرة السرية وسهولة الوصول إلى المعلومة ووضع أرضية

---

[٨] . إبراهيم الجملي: ٢٠١١، ص ٠٩

خاصة بموضوع إعلام الهجرة السرية لاقتسام العديد من المعلومات الخاصة به.

– إنشاء قناة خاصة بأفراد الجالية وذلك لإسماع صوت الجزائر في الخارج بالإضافة إلى إنشاء موقع يهتم ويشيع التواصل بين المهاجرين الجزائريين في الخارج، بالإضافة إلى استغلال اليوم الوطني للإعلام لعقد لقاءات، مع إنشاء مدينة إعلامية وفرض ضريبة إنتاج على الشركات التي تنتج برامجها في الجزائر واستحداث أرشيف والتركيز على التكون والتكوين المستمر وربط الصحافة في الخارج بالقضايا في الداخل والاهتمام أكثر بإشكال العودة النهائية إلى أرض الوطن.

– بلورة ميكانيزمات محفزة للاستثمار في أفق الجهوية الموسعة، وإعلام القرب وعصرنه وسائل الإعلام، بما يعني تعدد الوسائط، إذ يمكن للذين يشتغلون على المحتوى داخل الجزائر أو خارجها مثلا في الإذاعات الجمعوية و الجهوية، الاشتغال جميعا وفي مواضيع جديدة مرتبطة بالهجرة السرية وتقديم رسائل ومحتويات تثقيفية وتربوية لأبناء المهجر، وفي نفس الوقت مصاحبتهم.

وبالنسبة للشباب الموجود الآن في المهجر فهو محتاج إلى محتويات جديدة على مستوى الإعلام المحلي في بلاد المهجر ومصاحبته في مشاكله والاندماج في تلك المجتمعات وفي قضية الشغل والاندماج الاجتماعي، ومحتاج في نفس الوقت إلى إعلام إخباري يرافقه في فهم ما يجري في الجزائر واعتبار كل هذا محاولة لتغيير الصورة النمطية التي تكونت حول المهاجر، إضافة إلى ضمان عدم القطيعة بين الذين يعيشون خارج الجزائر والبلد الأصل، و بالنسبة كذلك للصحافيين الذين يرغبون في الاستثمار في مجال الصحافة.

وهذه مناسبة للإشارة إلى مسألة ترسيخ ثقافة جديدة عند الشباب من أصل جزائري، الذي يعيش في دولة ديمقراطية ويعيش المواطنة بشكل مغاير، ويقع تلاقح فيما يخص قضية المواطنة داخل الجزائر والتفاعل في محتويات هذا المفهوم، وحاليا هناك أدوات لكل هذا من إذاعات ومواقع إلكترونية للجماعات والجمعيات، فلابد إذن من برامج وإستراتيجية لتحفيز الناس للدخول في هذا المجال من خلال الجودة والقرب، سواء بالنسبة للمهاجر أو بالنسبة للجزائريين قاطبة.

ففي هذا النوع من الدراسات ذات الطابع العلمي والتبادل والأخذ والرد في قضايا مهمة كالهجرة السرية وعلاقتها بالإعلام والإعلاميين، ودور الإعلاميين والمهنيين في العالم، في إبراز هذه الظاهرة في كل تجلياتها، فإن هذه التوصيات من المفروض أن اللجان المعنية تشتغل على أساس بحوث ودراسات وتوصيات، مع طرح العديد من القضايا بشكل شمولي، ويعتقد أنه من الضروري التفكير في قضايا الهجرة السرية لأنّ ذلك أساسي، أما الحلول فستأتي بشكل تدريجي وعملي، فقد تم الحديث عن صندوق لتمويل البحث والتكوين، وكذلك على ضرورة الأخذ بعين الاعتبار تطلعات الجالية في البرمجة التلفزيونية الوطنية والخارجية، وضرورة تأسيس شبكات للتواصل

والاتصال بين هؤلاء المهنيين على الأقل في مواقعهم المهنية، لكونهم أحسن سفراء يمثلون الجزائر في تلك الأوطان، وهذه المسألة ستأخذ بعض الوقت، لكّنها بداية جيدة وطيبة تنبئ بأن الأمر سيكون مختلفا عمّا كان عليه الحال من قبل، على اعتبار أن مسألة الهجرة السرية كانت دائما تدرك من خلال تجليات فلكلورية هي في الأول تجليات غير حقيقية، وقد اغتنت هذه الهجرة بفعل تجربتها وبفعل تجذرها في بلدان الاستقبال، ولكن ما هو أساسي هو الاحتفاظ بالهوية كالعلاقة مع الدين، و مع الأسرة والمال والاندماج، وكل هذه القضايا تبين على أن الهوية الجزائرية متأصلة ومتجذرة عند الجزائري أينما وجد، وفيما يخص الإعلام والهجرة السرية فليس هناك مجال للانتقاد بل هناك مجال لرصد الوقائع، فلا وجود لمؤسسة إعلامية أو إعلام يتعامل بطريقة فجّة مع الهجرة السرية، وهذا واقع ملموس أسبابه واضحة، منها ضعف الإمكانيات، ولأن هيئات التحرير ليست منتشرة بما فيه الكفاية وكذا التخصصات المتعددة، فلا يمكن أن نعيب عن الجرائد أنها لا تقوم بالعمل، ولكن لابد من توضيح الواقع وهذا هو المبتغى، فلدينا ظاهرة تسمى الهجرة السرية علينا أن نلامسها وأن نقاربها ونواكبها بما يجب من مهنية ومن التمكن في هذا المجال، وبالتالي فإن كانت مؤاخذات ستبدأ في الوقت الذي نكون فيه قد وعينا بأن هناك مشكلا، وأننا نعمل على تداركه، فهناك نقص في طريقة التغطية وفي المعالجة وهناك أيضا نقص في الأجناس النبيلة للصحافة، والتي هي مثلا التحليل والريبورتاج والتحقيق، وهذه الأجناس غير موجودة بكثرة، وهذا راجع إلى أن الجرائد لا تتوفر على الإمكانيات الكافية، ولمّا يتم إغناء هذه المقاربات فسيقبل القارئ على المواد بشكل وبمتعة أكبر ويعتبر هذه المواد مراجع لديه، ومع الأسف الآن مثل هذه المسائل يتم إدراجها في خانة الطوارئ.

الدراسة الميدانية وإجراءاتها:

المنهج المستخدم:

استخدم الباحث منهج تحليل المحتوى كوسيلة للتعرف على المحتوى الظاهر (القابل للقياس) للمادة الإعلامية، والمحتوى الباطن بتحليل مضمون المادة الإعلامية المدروسة، وهذا المنهج في دراسة المادة الإعلامية ومضمونها بشكل يخدم الدراسات السوسيو إعلامية، بالتركيز على وحدات وفئات التحليل في الفئات الإعلامية، ويتميز هذا المنهج بأنه يعطي نتائج أكثر ثباتا وصدقا.

مجتمع الدراسة:

يشكل مجتمع البحث جميع الأعداد الصادرة من جريدة الشروق الجزائرية في الفترة الممتدة ما بين (٠٤ سبتمبر 2016)، إلى (٢٥ فيفري 2016)، وقد تم اختيار هذه الفترة الزمنية بالتحديد باعتبارها فترة شهدت فيها ظاهرة الهجرة السرية يقظة وانتشارا كبيرين وسط فئات وشرائح المجتمع عموما، والفئات الشبابية خصوصا، حتى سميت هذه السنة بسنة "**الهجرة السرية**"، وقد اعتمد الباحث ١١٣ عددا، الممثلة للمجتمع الكلي للبحث في جريدة الشروق اليومي، كما جاءت المادة الإعلامية الخاصة بالهجرة السرية من خلال ١٣ عدد فقط.

تحديد عينة الدراسة:

لقد وقع الاختيار في هذه الدراسة على صحيفة يومية هي "**الشروق اليومي**"، وقد تم اختيار عينة تمثيلية للبحث (عينة قصدية)، والمتمثلة في ١٣ عدد من مجموع ١١٣.

وحدة التحليل:

هي كل مادة إعلامية تعالج أي موضوع عن الهجرة السرية، بأشكالها أو أسبابها وآثارها، وذلك حتى نتمكّن من التعرف على التغطية الصحفية المستخدمة لمعالجة هذا الموضوع كمّا وكيفا،

٢- فئات التحليل:

عدد المواد الإعلامية.	المساحة	المادة المصورة	الكاتب
المصدر	شكل المادة الصحفية.	اتجاه المادة الإعلامية.	مرجعية التغطية
مفهوم الهجرة السرية من خلال الصحافة.	أسباب الهجرة السرية.	الفئة العمرية.	الجمهور المخاطب.
اتجاه المعالجة الصحفية.	الوسيلة المستخدمة في الهجرة	الحالة الاجتماعية للمهاجرين	متغير الجنس.
مكان الانطلاق.	الوجهة المقصودة.	آثار الهجرة السرية.	مصير المهاجرين السريين.

- فئات التحليل:

٢ – ١ فئة عدد المواد الإعلامية:

لا شك أن ظاهرة الهجرة السرية هي عبارة عن إحداث تفرض نفسها على الصحافة وعلى الجمهور، وذلك لاعتبارات مهنية واجتماعية ونفسية وغيرها، ويوضح الجدول (٠١) أن صحيفة الشروق نشرت ما مجموعه ٤٢ مادة إعلامية عن الهجرة السرية خلال الفترة الممتدة من ٠٢ مارس ٢٠١١ إلى ١٥ سبتمبر (فترة دراسة العينة)، وهذا ما يعكس اهتمام الصحيفة بظاهرة الهجرة السرية، وتقديرها لخطورتها وفي تكوين رأي عام معاد لها.

- رسم بياني رقم(٠١) لعدد المواد الإعلامية التي تناولت ظاهرة الهجرة السرية.

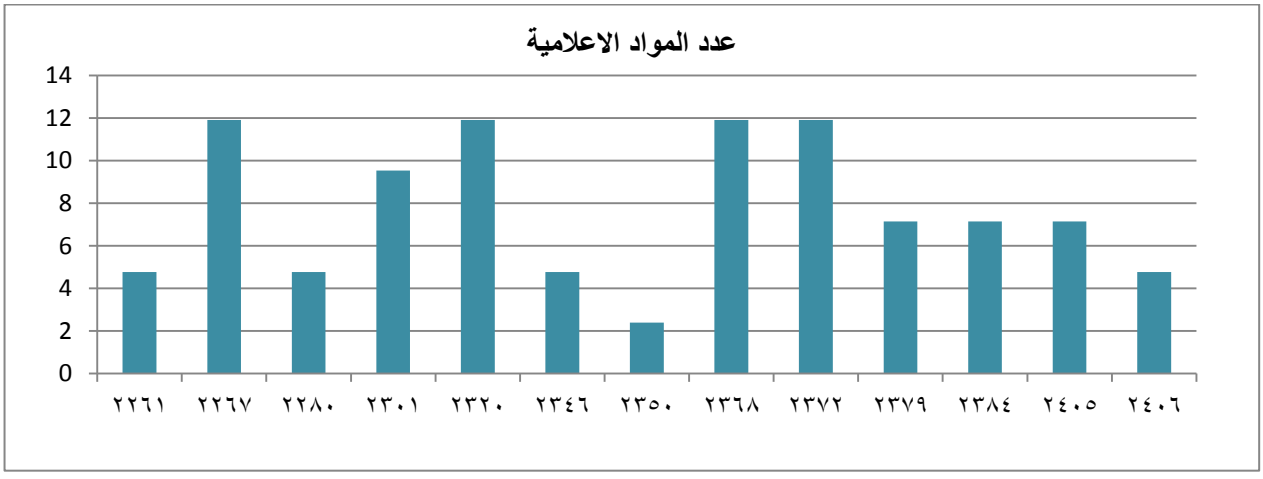

ويمكن تفسير ذلك بالأسباب التالية:

١ – معظم عمليات الهجرة السرية تمت خلال هذه الفترة.

٢ – جريدة الشروق لها مراسلون في جميع مناطق الجمهورية، وقد تبين ذلك من خلال متابعة الأخبار والمواد

الإعلامية التي تقدمها الصحيفة، الأمر الذي يمكنها من تقديم ردود فعل الظاهرة.

٢ – ٢– فئة المساحة المخصصة للهجرة السرية:

وهي الفئة التي تقيس المساحة الإعلامية المخصصة لظاهرة الهجرة السرية، والتي يتم تحليلها في الصحيفة، حيث يشير عنصر المساحة إلى مدى اهتمام الصحيفة بهذه الظاهرة من خلال تخصيص مساحة تتناسب وحجم الموضوع وأهميته، وللتعرف على كمية المساحات التي خصصتها الصحيفة عينة الدراسة لموضوع الهجرة السرية، فإننا سنتعرض لمعطيات الجدول رقم (٠٢).

– جدول رقم (٠٢) يبين المساحة المستخدمة في المادة الإعلامية التي تناولت ظاهرة الهجرة السرية.

وهي الفئة التي تقيس الحجم المتاح في الجريدة للمضمون الخاضع للتحليل، حيث يشير عنصر الحجم إلى مدى الاهتمام بعرض الموضوع وتقديمه، وزيادة المساحة تدل على زيادة الاهتمام، حيث تشير البيانات في الجدول رقم (٠٢)، إلى أن أكثر المساحات المخصصة لتغطية أخبار الهجرة السرية كانت الفئة (أقل من ١٥٠ سم²) بنسبة بلغت (٥٢.٣٨ %)، تليها فئة المساحة الخاصة ب [١٥٠– ٣٠٠ [سم² بنسبة بلغت (١٦.٦٦ %)، ثم تليها الفئة (أكثر من ٧٥٠ سم²) بنسبة (١٤.٢٨ %)، وما نود الإشارة إليه هو أن جريدة الشروق اليومي كانت متوازنة في تغطيتها للظاهرة من حيث تخصيص المساحة للمادة الإعلامية، فقد اعتمدت تقريبا كل فئات المساحات المعلن عنها.

– رسم بياني رقم (٠٢) يبين المساحة المستخدمة في المادة الإعلامية التي تناولت ظاهرة الهجرة السرية.

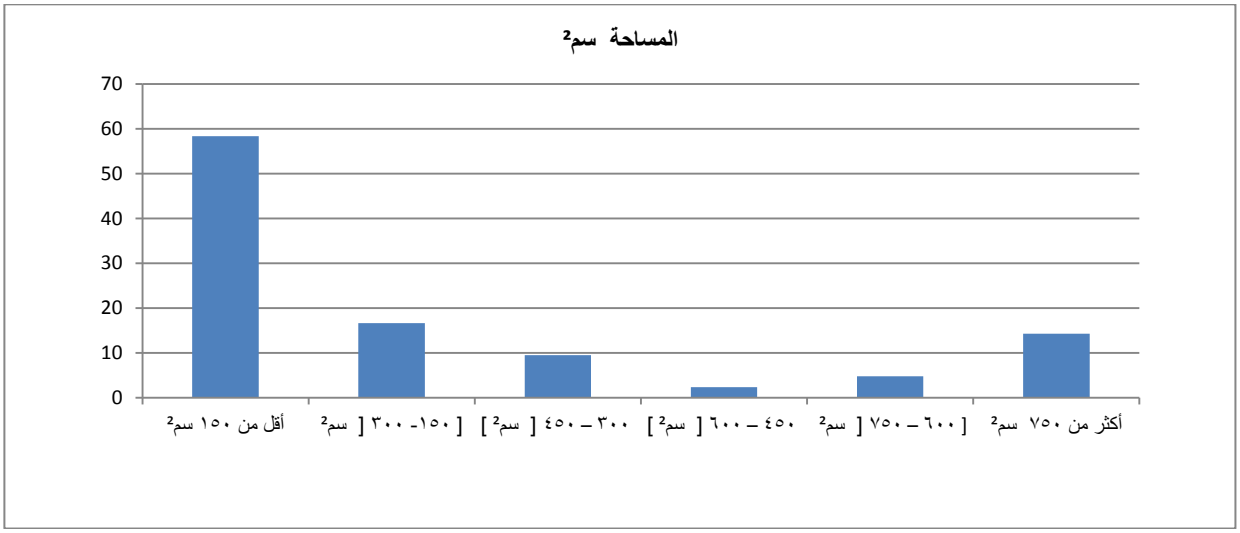

فقضية هجرة الشباب عبر البحر المتوسط بطريقة غير شرعية احتلت مساحة واسعة من اهتمام وسائل الإعلام وعدد من منظمات المجتمع المدني والمؤسسات الحكومية والإقليمية في الآونة الأخيرة، من خلال تقارير وتحقيقات سواء كانت سمعية بصرية أو كانت مكتوبة أو حتى انتقال هذه الظاهرة إلى السينما لتصبح موضوعا إبداعيا، خصوصاً بعد أن باتت قضية الهجرة غير الشرعية مشكلة تؤرق الدول المستقبلة لهؤلاء المهاجرين وعلى رأسها دول

أوروبا التي تعتبر المستقبل الأول للمهاجرين غير الشرعيين من دول شمال إفريقيا، حيث تشير النسب في الرسم البياني رقم (٠٢) إلى أن متوسط مساحات التغطية لظاهرة الهجرة السرية في الفترة المدروسة قد بلغ (٧٧٩.٣٨ **سم²**)، أما أكثر المساحات فقد كانت الفئة أقل من ١٥٠ سم².

٢ – ٣ – فئة المادة المصورة:

– رسم بياني رقم (٠٣) يبين المادة المصورة المستخدمة في المادة الإعلامية التي تناولت ظاهرة الهجرة السرية. تزداد أهمية الصورة الصحفية الفوتوغرافية في الصحيفة اليومية المعاصرة، وذلك يرجع إلى جملة من الأسباب أهمها:

١ – توفر كمية كبيرة من الصور المتنوعة.

٢ – جاذبية الصورة بالنسبة للقارئ العادي.

٣ – مقدرة الصورة على أن تقدم رسالة إعلامية مستقلة، ومقدرتها على استكمال الرسالة الإعلامية التي يحملها النص المكتوب.

٤ – مقدرة الصورة على تقوية النص وجعله أكثر وضوحا وفعالية وجاذبية وأكثر مقدرة غلى الوصول إلى المتلقي والتأثير عليه، حيث يقول مثل صيني قديم:" إن الصورة الواحدة تغني عن ألف كلمة". إذ تشير البيانات في الجدول رقم (٠٣) إلى أن (٤٧.٦١ %) من المواد الإعلامية التي نشرتها الجريدة لم تحمل صورا أيا كانت.

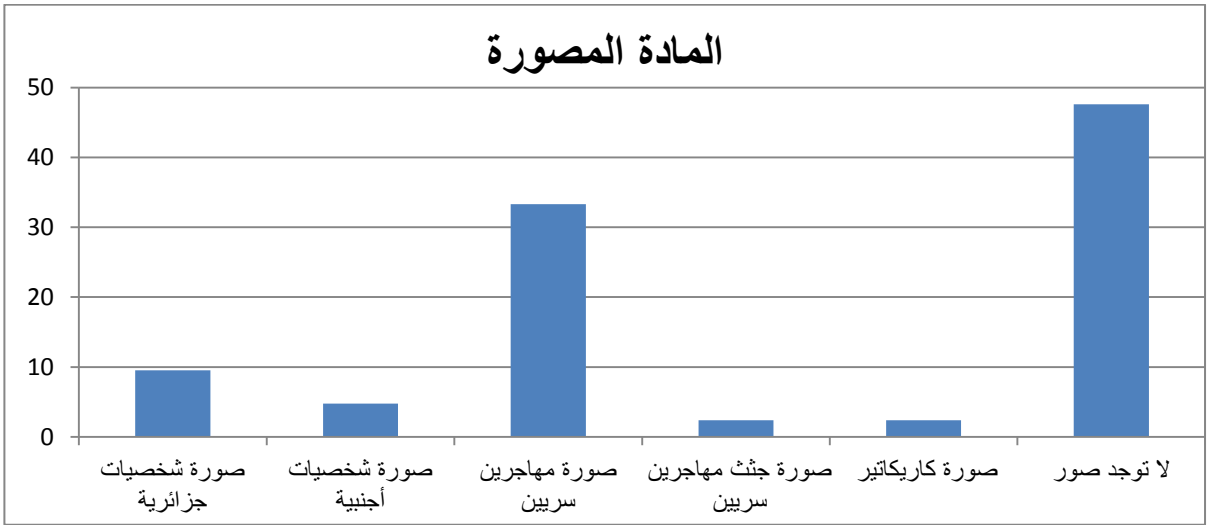

في حين أوردت الصحيفة ما نسبته (٣٣.٣٣ %)، من صور المهاجرين السريين لتدعيم قيمة الخبر– الصور تعطي إيضاح ومصداقية أكبر للظاهرة – اعتمدت الصحيفة على الصور الخاصة بالشخصيات الجزائرية بمختلف شرائحها السياسية والاقتصادية والأمنية (وزراء، مسئولين في قوات الدرك الوطني، شخصيات فنية، قوات خفر السواحل...) بنسبة(٩.٥٢ %)، وبنسبة (٤.٧٦ %) من الصور المتعلقة بالشخصيات الأجنبية (وزراء خارجية الدول الأوروبية، وزيرة الهجرة الفرنسية...)، وهذا ما يبرز البعد الدولي لظاهرة الهجرة السرية، ويعطيها طابع العالمية، بينما وردت صور جثث المهاجرين السريين بنسبة (٢.٣٨ %)، وهذا ما يبين أن السياسة المنتهجة من طرف صحيفة الشروق في إضفاء البعد التراجيدي والدرامي للظاهرة، وإبرازها على أنها مأساة مع تسليط الضوء

على سلبياتها من خلال العناصر التوبوغرافية المستخدمة ولو بنسبة ضئيلة، ويوضح الرسم البياني رقم (٠٣) ضعف اهتمام الصحيفة بالكاريكاتور، إذ لم تبلغ نسبته سوى (٢.٣٨ %)، وهذا ما يوضح عدم تقدير الصحيفة للأهمية المناطة للكاريكاتور في الصحيفة الإخبارية اليومية، بسبب مضمونه الاتصالي، ومقدرته على إيصال الرسائل والتأثيرات في الشرائح المختلفة من القراء، فيما توضح البيانات في الجدول رقم (٠٣) إلى أن ما نسبته (٤٧.٦١ %) من هذه العينة لم تحرص على نشر أي مواد تحتوي على الصور والرسوم في معظم موادها الإخبارية، أو التحليلية، أو التفسيرية، ويبرز هذا أن السياسة التحريرية للجريدة لا تلجأ لأسلوب التخويف والتهويل الإعلامي، والتضخيم المبالغ فيه الذي يهدف إلى خلق الإثارة بهدف وقف الظاهرة والتصدي لها، أما في ما يتعلق بـ (مصدر الصورة) فقد كان معظمها خاصا، حصلت عليه الصحيفة من خلال مصوريها الخاصين، وتعددت أنواع الصور المنشورة المرافقة للمواد الصحفية، فمن حيث المضمون هيمنت الصور ذات الطابع الإخباري، المرتبطة بظاهرة الهجرة السرية، والقادرة على توضيح أحداثها وتوثيقها، ومن حيث الحجم نشرت الصحيفة صورا بأحجام كبيرة وصغيرة ومتوسطة، ولكنها ابتعدت في ذلك كله عن المبالغة و نشر الصور المثيرة (مثل صور الجثث)، وهذا ما يؤكد الاستخدام الواعي والمدروس للمادة المصورة بما يتفق مع السياسة التحريرية وفي جدية الأحداث وخطورة الموقف.

٢- ٤ – فئة كاتب المادة الإعلامية:

مازال الكاتب يحتل مكان الصدارة في العملية الاتصالية، وذلك بالرغم من التطور التكنولوجي في مجال الصحافة، فالصحفي القائم بالاتصال هو العين التي يرى بها القارئ الحدث، وبالتالي فإن رؤية الكاتب للحدث وفهمه له، ومقدرته على معالجته وفق فن صحفي عصري ومتطور، مسألة أساسية في العمل الصحفي، وهذا ما يعطي فئة الكتّاب أهمية خاصة في عملية تحليل مضمون النصوص الصحفية، وتعتمد الصحيفة اليومية المعاصرة أساسا على الكادر المحترف والمتخصص، ولكنها تسعى دائما لاجتذاب كتّاب من اختصاصات مختلفة، ليسهموا في معالجة أحداث وظواهر وقضايا، تتطلب معالجتها مستوى من الخبرة والاختصاص، ويبين الجدول رقم (٠٤) أن (٥٤.٧٦ %)، من المواد الإعلامية المنشورة والمتعلقة بظاهرة الهجرة السرية قام صحفيوا الجريدة بتحريرها، وهذه مسألة مهمة تعكس وجود كادر صحفي يتابع ظاهرة الهجرة السرية باهتمام، وبالتالي فإن الكادر الصحفي هو الذي يقوم بتحرير الأخبار، في حين أن هذه النسبة تنخفض بشكل واضح في بقية الأنواع الصحفية الأخرى.

– رسم بياني رقم (٠٤) يبين كاتب المادة الإعلامية التي تناولت ظاهرة الهجرة السرية.

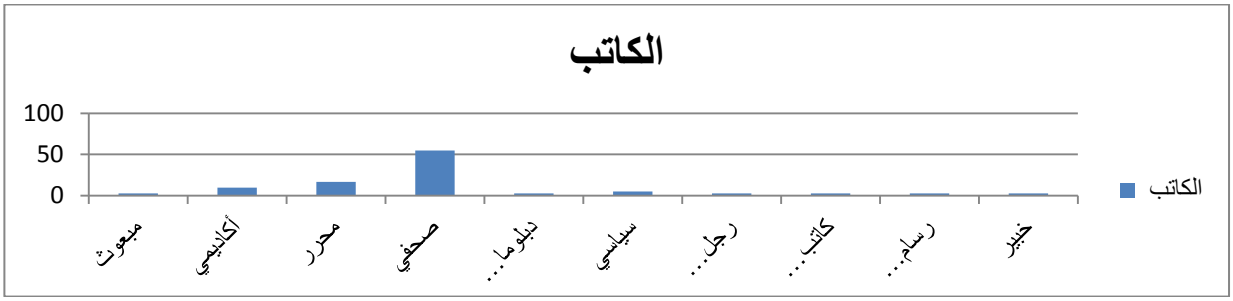

كما تشير المعطيات إلى ارتفاع نسبة المحررين في تحرير المواد المتناولة لظاهرة الهجرة السرية في صحيفة الشروق لتبلغ (١٦.٦٦ %)، ويمكن تفسير ذلك بامتلاك صحيفة الشروق كادرا نوعيا متميزا قادرا على تقديم تغطية إعلامية لأحداث هامة ومعقدة مثل ظاهرة الهجرة السرية، كما يلاحظ أن هناك عدم اهتمام بالتعاون مع الخبراء في الصحيفة، حيث لم تبلغ نسبة المواد التي كتبها كل من: (الخبراء، والمبعوثين، والدبلوماسيين، ورجال الدين، والكتاب الأحرار، ورسامي الكاريكاتور) سوى (٢.٣٨ %)، ومما يجدر ذكره في هذا السياق الاتجاه السائد في الصحافة العالمية هو تزايد اعتمادها على الخبراء، لتقديم معالجة أكثر شمولية وعمقا للأحداث والظواهر والتطورات، من تلك التي يقدمها الصحفيون المحترفون، كما تشير بيانات الرسم البياني رقم (٠٤)، إلى ارتفاع نسبي في نسبة إسهام الأكاديميين في تحرير المواد في صحيفة "الشروق اليومي"، ونعتقد أن ذلك يعود إلى الاهتمام المتزايد للصحيفة بتدعيم الأعمدة المخصصة للأكاديميين بشكل عام، حيث تخصص صفحتان باسم (أقلام الخميس)، وذلك كل يوم خميس، إضافة إلى الأعمدة الأخرى، فقد أصبح الاختصاص ضرورة مطلقة في المواضيع العلمية، ولم يعد الصحفي العادي العام، قادرا على تقديم المعالجة المطلوبة لمختلف الظواهر المحيطة به، فإذا كانت الصحافة الجزائرية قد وجدت نفسها غير قادرة على تجاهل ظاهرة الهجرة السرية، وتحول موضوعها (الهجرة السرية)، إلى جزء من الأحداث اليومية التي تسعى إلى تغطيتها، فمن المؤكد أن حرص الصحيفة اليومية على جذب كتّاب وخبراء ومختصين، للإسهام في معالجة القضايا الخاصة بالهجرة السرية، يحقق مستوى خصبا للتغطية التي تقدمها الصحافة، ويجذب شرائح متنوعة من القراء، ويضمن المعالجة الشاملة والصحفية القادرة غلى الوصول والتأثير على القارئ.

٢ – ٥ – فئة المصدر: حيث تحصل الصحيفة على الأخبار التي تنشرها من مصدرين أساسيين هما:

أ – المصادر العامة: وكالات الأنباء، الصحف والإذاعات، محطات التلفزيون العالمية، النشرات والتقارير الرسمية، المكاتب الصحفية...إلخ.

ب – المصادر الخاصة: المراسلون الخاصون، المندوبون الخاصون، العلاقات الخاصة، يؤثر المصدر على مدى مصداقية التغطية، وبالتالي على مدى قدرتها على الوصول والتأثير وتحقيق الأهداف، ولذلك تحرص الصحف الجدية على الاعتماد على المصادر المسؤولة والخبيرة والتي تتمتع بمصداقية عالية، كما تحرص هذه الصحف على الاعتماد على مصادرها الخاصة، في نفس الوقت الذي يزداد فيه اعتمادها على المصادر العامة مثل وكالات الأنباء المحلية والإقليمية والعالمية، وفي جميع الأحوال، ومهما كانت نوعية المصادر التي اعتمدت عليها الصحيفة لتغطية الأحداث، فانه يجب عليها أن تمتلك رؤيتها الخاصة للحدث أو قراءتها للظاهرة.

٥٠ – فئة مصدر المادة الإعلامية:

تشير المعطيات الإحصائية في الجدول رقم (٠٥) إلى تزايد اعتماد الصحف المبحوثة على المصادر المحلية في تغطيتها لظاهرة الهجرة السرية، وذلك سواء أشارت بوضوح إلى هذه المصادر أم لم تذكرها صراحة، لكنها معروفة من خلال السياق.

– رسم بياني رقم (٠٥) يبين مصدر المادة الإعلامية التي تناولت الظاهرة.

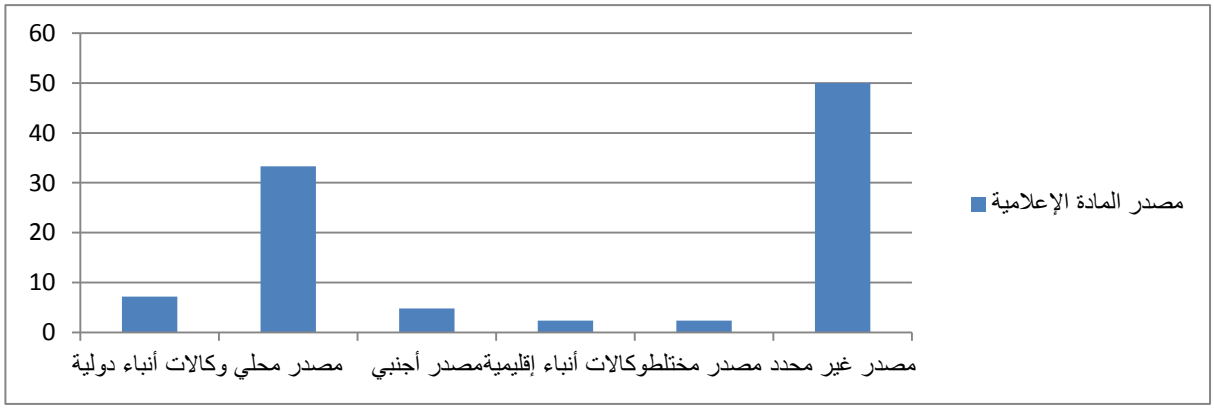

وقد بلغت نسبة مواد العينة التي اعتمدت على مصادر محلية حوالي (٣٣,٣٣%) منها (٨٥,٧١%) مذكورة بصراحة ووضوح، مقابل (١٤,٢٨%) لم تذكر صراحة وعلانية، وتمت الإشارة إليها ب"مصادر مطلعة" وهذا خلل في التغطية الإخبارية يجب تلافيه، نظرا لان ذكر المصدر يزيد من مصداقية الخبر و في مقدرته على الإقناع، ويعود اعتماد الصحيفة على المصادر المحلية بنسبة عالية إلى:

١ـ الطبيعة الأمنية الخاصة بظاهرة الهجرة السرية وانحصار المعلومات عنها في الجهات الرسمية(الدرك الوطني، مصالح خفر السواحل، القوات البحرية، وزارة الداخلية، المحاكم، مصالح الشرطة، المستشفيات، الحماية المدنية، مراكز الحجز...)

٢ـ أن جميع عمليات الهجرة السرية تمت داخل أراضي الجمهورية، وبالتالي فان إمكانية تغطيتها من وكالات الأنباء الأجنبية محدودة جدا.

حيث تؤكد المعطيات الإحصائية للجدول (٠٥) انخفاض نسبة الاعتماد على وكالات الأنباء الأجنبية في تغطية جوانب الهجرة السرية. وذلك لضعف تواجد هذه الوكالات في مواقع الأحداث، وللطبيعة السرية للظاهرة، ولذلك تواجدت معظم المواد التي نشرتها وكالات الأنباء متضمنة لتداعيات هذه الأحداث وردود أفعال الدول الأوروبية المختلفة، أكثر من تضمنها وقائع ومعلومات عن العمليات نفسها. ومن الجدير ذكره، افتقار الصحيفة إلى مصادر خاصة، والتي توفر لها تغطية خاصة وحصرية أو انفرادها بجوانب معينة من التغطية، وهذه نقطة سلبية في التغطية الصحفية، إذ تسعى الصحف الجدية دائما إلى إقامة علاقات وثيقة مع مصادر خاصة توفر لها تغطية متميزة في بعض جوانب الأحداث الضخمة، وربما لا يعود هذا إلى تقصير من جانب الصحيفة بقدر ما يعود لطابع التكتم والسرية المحيط بالظاهرة محل الدراسة (الهجرة السرية).

من وجهة نظر الباحث فان صحيفة الشروق اليومي الجزائرية اعتمدت على مصادر غير محددة بنسبة(٥٠%)، وهي اكبر نسبة بسبب الطابع المحلي للظاهرة، فمعظم عمليات الهجرة السرية "الحرقة" يتم تداولها شفويا بين عائلات الضحايا وتكون بعيدة عن الطابع الرسمي.

٠٦ – فئة النوع الصحفي:

يفرض تنوع الواقع الموضوعي وتنوع الحاجات الإعلامية للقارئ، وتنوع الأهداف المتوخى تحقيقها، والوظائف

المطلوب انجازها، وتنوع أساليب وسبل التأثير على ذهن أو على عواطف وانفعالات القارئ، نقول يفرض ذلك كله تنوع وتعدد الأنواع الصحفية، التي تستخدمها الصحيفة المعاصرة في تغطية الأحداث والظواهر والتطورات، وبالتالي فان استخدام الأنواع الصحفية (الخبر، التقرير، التعليق، المقال، الحديث، الافتتاحية..) ليست مسالة احترافية صرفة، بل هي مسالة مرتبطة في صميم الإبداع الصحفي، وذات علاقة وثيقة بشخصية الصحيفة وسياستها، ومستوى الكادر العامل فيها، ونوعية الجمهور الموجهة إليه، ونوعية وطبيعة الأحداث والقضايا التي تعالجها.

– رسم بياني (٠٦) النوع الصحفي للمادة الإعلامية التي تناولت الهجرة السرية:

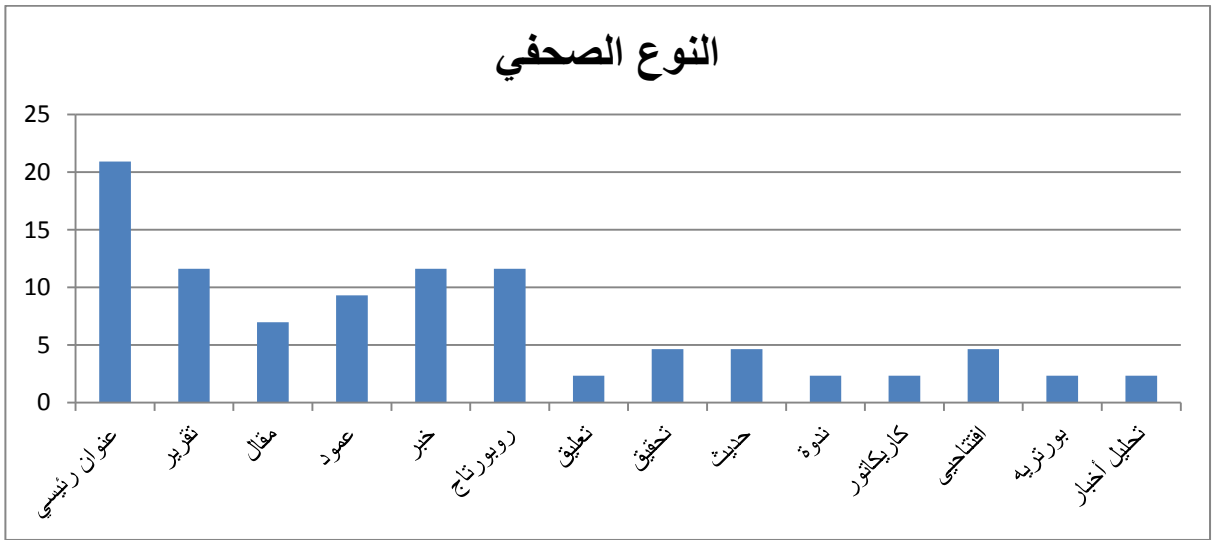

كما يوضح الجدول رقم (٠٦) أن الصحيفة استخدمت معظم الأنواع الصحفية المعروفة (الخبر، التحقيق، الافتتاحية، العمود، المقال، التعليق، الندوة...)، وفي الوقت نفسه يشير الجدول إلى أن النوع الصحفي الغالب الذي تستخدمه صحيفة الشروق في تغطيتها لظاهرة الهجرة السرية، هو العنوان الرئيسي إذ بلغت نسبته (٢٠.٩٣ %).

٠٧ – فئة اتجاه المادة الاعلامية:

من الصعب أن تخلو مادة إعلامية من موقف ما إزاء الموضوع الذي تعالجه، ويتحدد هذا الموقف في ضوء عدة اعتبارات أبرزها: موقف الصحيفة من الحدث، الموضوع، طبيعة الحدث النوع الصحفي المستخدم الجمهور المستهدف وذاتية الكاتب أو الصحفي

وقد تميزت تغطية صحف العينة لظاهرة الهجرة السرية باتخاذ موقف ايجابي معارض لهذه الظاهرة بنسبة (٥٤.٧٦%) كما يبين الجدول، وهذا ما يؤكد عدم مساندة الجريدة ودعمها لظاهرة الهجرة السرية، ورغبتها الواضحة في عدم الإسهام بشكل فعال في دعمها وتمكينها من تحقيق أهدافها، ولم تخل صحف العينة من الموقف المؤيد للظاهرة وجاء بنسبة (٩.٥٢%)، فيما عبرت نسبة (٩.٥٢ %) أيضا عن الموقف المبرر لظاهرة الهجرة السرية، في محاولة لإيجاد الأعذار والأسباب الكامنة وراء انتشار الظاهرة، فيما جاءت نسبة (٢٦.١٩ %) لتبين موقف الجريدة المحايد لما يجري من أحداث ومواقف محيطة بظاهرة الهجرة السرية حيث الاكتفاء بذكر الحقائق والأحداث فقط، دون تبيين موقف واضح ومحدد تجاه ما يجري.

- رسم بياني (٠٧) يبين اتجاه المادة الإعلامية التي تناولت ظاهرة الهجرة السرية.

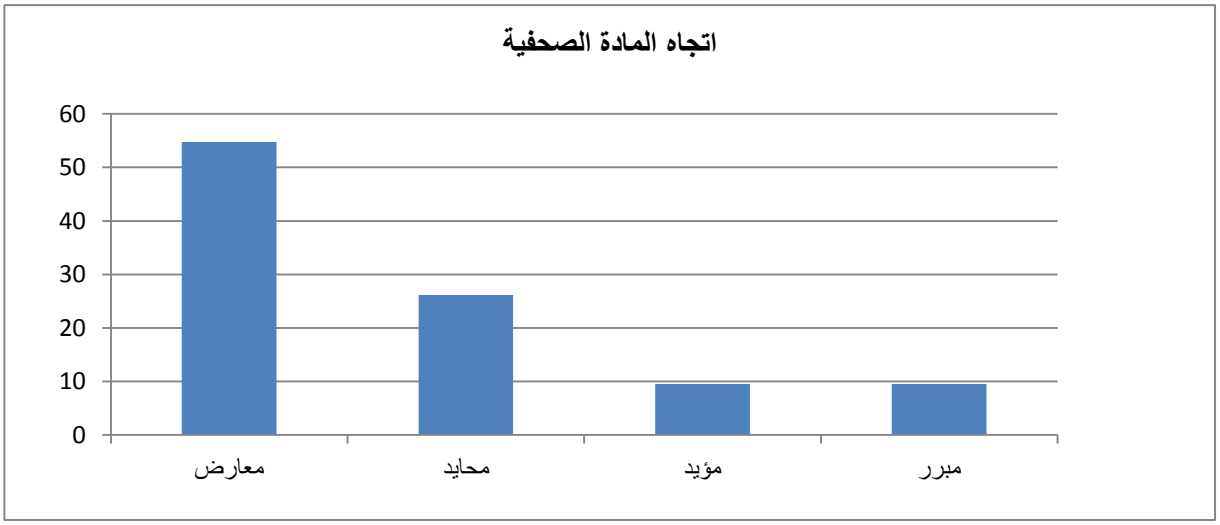

٠٨ - فئة مرجعية التغطية:

- جدول رقم (٠٨) يبين مرجعية التغطية من وجهة نظر الصحيفة:

إن الأحداث العامة والضخمة لا يمكن أن تغطى أو تعالج، إلا انطلاقا من مرجعية معينة تشكل إطارا عاما لهذه المعالجة، وتحقق أقصى قدر من التماسك والانسجام في عملية التغطية، بحيث توضع مختلف الجهود على محور واحد يؤدي إلى تحقيق الهدف من التغطية، إنّ وجود مرجعية معينة لرؤية الأحداث ومعالجتها يشكل دعما هاما للصحيفة ويمكّنها من السيطرة على عملية التغطية، ويجعلها متناسبة ومتوافقة مع اسراتيجيتها وسياستها، كما أنها تحصن الصحفي نفسه من أن ينزلق إلى مواقف شخصية وذاتية أو من أن تسيطر عليه الأحداث بدلا من أن يسيطر هو عليها، كما أن المرجعية تسهم في عملية التفسير والتحليل والتوضيح الكامل المرافق للتغطية الإخبارية، وهذا ما يساعد على تشكيل وعي عميق لدى القارئ ليميز بين الأحداث ويختار الصحيح منها المبني على مرجعية معروفة، وقد جاءت المرجعية الاجتماعية الاقتصادية بنسبة مهمة قدرت ب(٥٤.٧٦ %)، حيث ركزت على الخطر الاجتماعي والاقتصادي الذي تشكله هذه الظاهرة، خاصة في هذه المرحلة الدقيقة التي تقف فيها الجزائر على عتبة تغيير اجتماعي وبناء نهضة اقتصادية متقدمة، واحتلت المرجعية المرتبة الثانية بنسبة بلغت (١٩.٠٤ %)، ويفسر ذلك قدرة المرجعية المختلطة على الاستفادة من ايجابيات المرجعيات الثلاثة السابقة، الدينية، الوطنية، والسياسية، الاجتماعية والاقتصادية، وذلك من خلال محاولتها تقديم رؤية متكاملة للجوانب المختلفة لظاهرة الهجرة السرية، بحيث تنقل صورة دقيقة تتضمن الجوانب المختلفة وبذلك تكون أكثر واقعية وأكثر إقناعا، وبالتالي أكثر مقدرة على التأثير الشرائح المختلفة من القراء، كما ركزت التغطية بالدرجة الثالثة في معالجته للأحداث المحيطة بالهجرة السرية، وانطلقت من مرجعية وطنية وسياسية وقدمت رؤية للأحداث من منظور وطني وسياسي، واستخدمت استمالات تأثير تعتمد على المشاعر والعواطف الوطنية وخاصة في المقالات والتحقيقات من خلال أن الهجرة السرية تسئ لصورة الجزائر لدى العالم الخارجي، وبالتالي تلحق أضرار سياسية بالبلد، كما جاءت التغطية الدينية من خلال مواد العينة بنسبة (٩.٥٢%)، وهي فئة مقبولة نسبيا ويعود هذا في تقريرنا إلى عوامل متعددة يمكن

تحديد أبرزها في قوة حضور الدين في مجالات الحياة كافة، بالإضافة إلى قوة الوازع الديني عند المواطن الجزائري واعتبار ظاهرة الهجرة السرية كنوع من الانتحار الذي يحرمه الدين الإسلامي تحريما قاطعا، فالاستمالات الدينية يمكن جدا استخدامها في المهلكة لأن المجتمع الديني يتأثر جدا بالمرجعية الدينية ويتعاطف مع الدين وتؤثر فيه المرجعية الدينية.

- رسم بياني رقم (٠٨) يبين مرجعية تغطية الصحيفة لظاهرة الهجرة السرية:

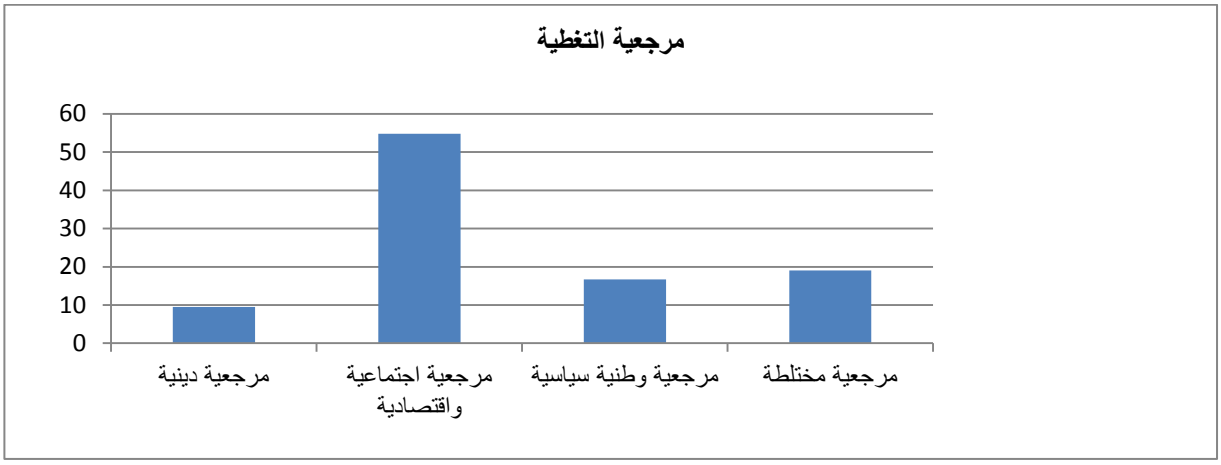

٠٩ - فئة مفهوم الهجرة السرية:

بالتعليق على الجدول رقم (٠٩)، يمكننا القول أن ما يكرس الطابع الرسمي البيروقراطي المهني لتغطية الصحيفة المدروسة لظاهرة الهجرة السرية، هو عجزها عن تقديم تصور واضح وشامل لمفهوم الهجرة السرية، وربما قد يفسر هذا بافتقار الصحيفة لكادر صحفي مؤهل ومتخصص على المعالجة العميقة للظاهرة، ويتجسد هذا الخلل من خلال التركيز على أحداث القبض على مجموعات المهاجرين السريين، وتقديمهم إلى العدالة، والاكتفاء بالسرد المعلوماتي، والبعد أو العجز عن تقديم معالجة مناسبة للحدث أو القضية، إذ جاءت النسب تقريبا متقاربة ومتوازنة، وهذا ما أدى حسب الجريدة إلى عدم تقدير العواقب المنجرة عن هذه المغامرة، فيما جاءت بقية النسب لتكريس مفهوم الهجرة السرية على أنه عملية انتحارية، بالإضافة إلى أنها ذات طابع قانوني من خلال تسجيل الظاهرة حضورها في المحاكم الجزائرية بقوة، فضلا عن ذلك فإن غلبة الطابع الإخباري على التغطية التي تقدمها الصحيفة لقضايا الهجرة السرية من شأنها أن ترسخ طغيان الجانب المعلوماتي على الجانب الفكري التثقيفي التوعوي وهذا ما أدى إلى عدم بلورة مفهوم واضح للهجرة السرية عبر الصحيفة المدروسة.

- رسم بياني رقم(٠٩) يبين مفهوم الهجرة السرية من وجهة نظر الصحيفة:

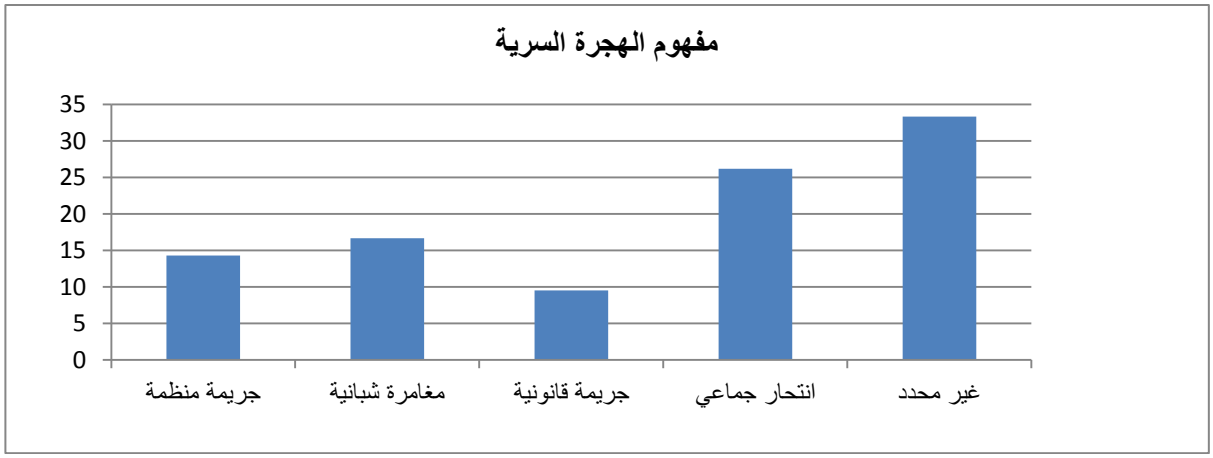

١٠ – فئة أسباب الهجرة السرية من وجهة نظر الصحيفة:

تختلف الأسباب والدوافع المؤدية إلى ظاهرة الهجرة السرية وتتعدد، ويمكن تحديد أهم الأسباب والدوافع على النحو التالي:

١ – الأسباب الاقتصادية:

ينظر أصحاب التفسير الاقتصادي إلى العوامل الاقتصادية على أنها المفسر الأساسي لظاهرة الهجرة بصفة عامة والهجرة السرية بصفة خاصة، وان البعد الاقتصادي يستوجب النظر إلى العوامل الاقتصادية الطاردة مثل البطالة، التضخم وقلة التوظيف وغيرها، ولعل الفقر الشديد هو السبب الرئيسي وراء الهجرة السرية وتدني مستوى المعيشة التي لا تساعد على توفير متطلبات الإنسان وأسرته لهذا يندفع المهاجر تفتيشا عن مورد رزق ليحقق غايته، كما أنّ انتشار البطالة في المجتمع داء وبيل، وأيما مجتمع تكثر فيه البطالة ويزيد فيه العاطلون، وتنضب فيه فرص العمل، فإنه يفتح أبوابا من الخطر على مصراعيها، فالناس يحركهم الجوع والفقر والعوز، حيث اعتبرت الجريدة أن البطالة أقوى العوامل المساهمة في انتشار واستفحال ظاهرة الهجرة السرية حيث ضيق العيش وغلاء المعيشة، وقد خصصت صحف العينة ما نسبته (١٩.٠١ %) وهو ما يدل على الاهتمام بالجانب الاقتصادي الذي يعد العمود الفقري في حياة كل فرد.

لفهم ظاهرة الهجرة السرية التي أصبحت تقلق بال الحكومات المستقبلة لابد من تقصي أسبابها، ويتجلى التباين في المستوى الاقتصادي بصورة واضحة بين الدول الطاردة والدول المستقبلة، هذا التباين هو نتيجة لتذبذب وتيرة التنمية التي لازالت تعتمد أساسا في اقتصادها على الفلاحة والتعدين وهما قطاعان لا يضمنان استقرارا في التنمية نظرا لارتباط الأول بالأمطار والثاني بأحوال السوق الدولية وهو ما له انعكاسات سلبية على مستوى سوق العمل، وخلافا لما نجده في دول الاستقبال، فإن النمو الديمغرافي رغم الوضعية المتقدمة لما يسمى بالانتقال الديمغرافي في الدول الموفدة، لازال مرتفعا نسبيا وهذا له انعكاس على حجم السكان النشيطين وبالتالي على عرض العمل في سوق الشغل، وهكذا فإن البطالة تمس عددا كبيرا من السكان وخاصة منهم الشباب والحاصلين على مؤهلات جامعية، وتقدر نسبة البطالة في الجزائر إلى ٢٣.٧% حسب المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي، هذا الضغط على سوق العمل يغذي "النزوح إلى الهجرة السرية" ومن أجل الحد من هذه الظاهرة، فإن ذلك يقتضي تنمية فاعلة

ومستدامة قادرة على خلق حوالي ٥٠٠ ألف فرصة عمل في الجزائر، وهو ما أشارت إليه الصحيفة بنسبة (٢٦.١٩ %)، إذ يلخص العالم الديمغرافي الفرنسي "**ألفريد صوفي**" إشكالية الهجرة السرية بقوله "إمّا أن ترحل الثروات حيث يوجد البشر وإما أن يرحل البشر حيث توجد الثروات". ومن انعكاسات ظاهرة البطالة زيادة حجم الفقر حيث تبلغ نسبة السكان الذين يعيشون تحت خط الفقر في الجزائر مستويات عالية، كما يشكل التباين في الأجور كذلك عاملا للتحفيز على الهجرة السرية حيث الحدّ الأدنى للأجور يفوق بـ٣ إلى ٥ مرات المستوى الموجود في الجزائر، على أن هذا الحد لا يحترم أحيانا من طرف أرباب العمل وهذا ما أشارت إليه الصحيفة بنسبة (٥٤.٧٦ %)، ولكن إذا كانت الظروف الاقتصادية تشكل عوامل أساسية في التحفيز على الهجرة السرية والتي مثلتها نسبة (١٤.٢٨ %)، إلّا أنّ ذلك لا يشرح كيف أن البعض يمر إلى مرحلة التطبيق دون البعض الآخر، هذا يعني أن قرار الهجرة تدفع إليه عوامل أخرى وهي أساسا اجتماعية و نفسية.

– دائرة نسبية رقم(٠١) تبين الأسباب الاقتصادية الهجرة السرية من وجهة نظر الصحيفة

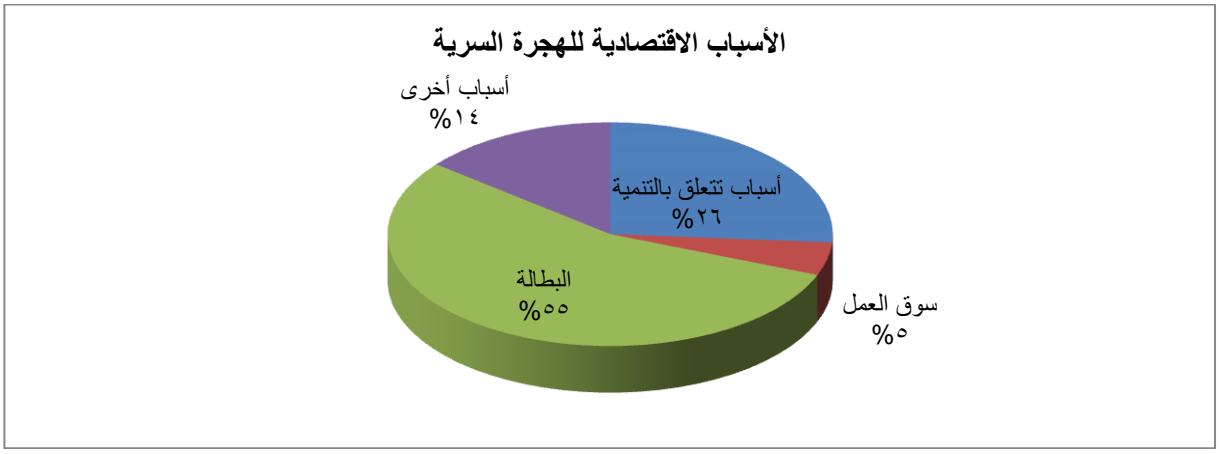

٢ – الأسباب السياسية:

إن الصراعات القبلية والعرقية التي تشهدها جل الدول، خاصة منها الحدودية وكذا ريح الديمقراطية، الذي هب على الدول النامية ومن بينها التغيرات الجذرية على الساحة السياسية الجزائرية، التي جاءت على أعقاب الانفجار الاجتماعي في ٠٥ أكتوبر ١٩٨٨، وإقرار السياسة البلاد بالتعددية الحزبية التي كرسها دستور ١٩٨٩، ولسوء هضم مفاهيم الديمقراطية لدى البعض والكبت حب الذات والتسلط لدى البعض الآخر أدخل البلاد والعباد في دوامة من العنف، وتنامت معه ظاهرة الإرهاب، التي بلغت ذروتها بين سنة ١٩٩٣ و١٩٩٦، وبلغ التنكيل والتخريب والتقتيل الجماعي في شكل مجازر رهيبة هزت أمن وكيان واستقرار الدولة، ونظرا لانشغال الدولة في إعادة الأمن والاستقرار، وفي مواجهة الجماعات الإرهابية، التي سعت في البلاد خرابا ودمارا، جاءت على اليابس والأخضر، والمؤسسات الاقتصادية العمومية أو الخاصة، هذا الانعطاف وتوجه الدولة بجميع أجهزتها الأمنية لإعادة الاستقرار كان متزامنا بتفشي واستفحال ظاهرة الهجرة السرية من والى التراب الوطني نظرا لنفاذة الحدود وضعف المراقبة والتحكم.

إنّ عدم الاستقرار الناجم عن الحروب الأهلية والنزاعات وانتهاكات حقوق الإنسان بسبب انتماءاتهم العرقية أو الدينية أو السياسية، يعدّ أحد الأسباب الرئيسية لحركات الهجرة السرية التي تجبر الأفراد على النزوح من المناطق غير الآمنة إلى أخرى أكثر أمنا وهو ما يطلق عليه بالهجرة الاضطرارية أو اللّجوء السياسي وتعتبر منطقة المغرب العربي خاصة، وإفريقيا بصفة عامة من أهم المناطق المصدرة والمستقبلة للاّجئين بسبب الحروب وعدم الاستقرار الداخلي الذي تعرفه دول المنطقة، وفي هذا الإطار يمكن القول بأنّ الجزائر تعتبر منطقة عبور رئيسية للاجئين والمهاجرين القادمين من إفريقيا خاصة من منطقة البحيرات الكبرى، فالجزائر تعدّ نقطة عبور رئيسية نحو أوروبا، فسنويا هناك حوالي ٣٢٨٦ ضحية غرق في المياه الإقليمية الجزائرية، جلهم مهاجرون قادمون من إفريقيا السوداء، ولا يمكن إغفال اللجوء السياسي، حيث أدّت إلى هجرة الجزائريين إلى مناطق أبعد من أوروبا.

– دائرة نسبية (٠٢) تبين الأسباب السياسية للهجرة السرية حسب نظر الصحيفة

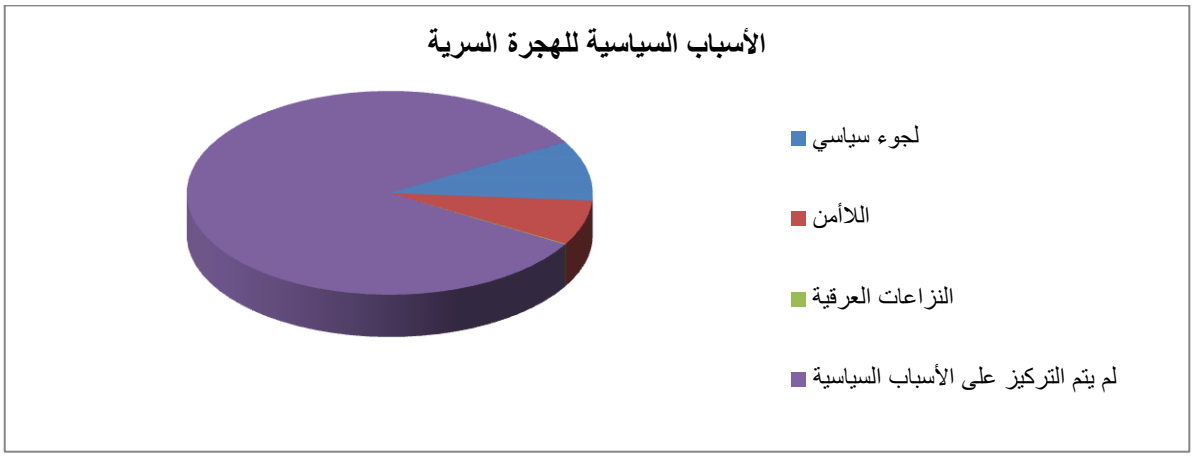

٣ – الأسباب الاجتماعية:

فيما يتعلق بالدوافع الاجتماعية للهجرة السرية، فهي مجموعة الظروف التي لا تحقق الإشباع الكامل، أي أن الهجرة في مجملها عبارة عن انتقال أو تحول من سياق أو موقف غير مرغوب فيه، لعجزه عن تحقيق الإشباع المادي والتكيف الاجتماعي، وعدم قدرته على تحقيق الاحتياجات والرغبات، أو حتى مستوى الطموح الذي يتطلع إليه الفرد، إلى سياق أو موقف آخر تتوفر فيه إمكانية تحقيق كل هذه الأمور ولو بدرجة نسبية، وهكذا يمكن القول أن أسباب الهجرة السرية التي قدمتها صحف العينة تميزت بطابعها الاجتماعي، إذ نلاحظ هيمنة الطابع الاجتماعي بنسبة (٦١.٩٠%) في إشارة إلى أن تفكك المجتمع وعدم ترابطه من الأسباب الرئيسية – حسب الصحيفة – التي تجعل الشخص الذي يقبل على الهجرة السرية لا يشعر أمام هذا المجتمع المفكك بالمسؤولية، ولا الحرص عليه أو الاهتمام به، ولا حتى مراعاة الآخرين، ما يولد لديه حالة من الشعور بالحرص الشديد على اقتناء كل ما هو جيد فيه، وان لم يكن من حقه، وحين يمنع يتذمر، ويزداد الأمر سوءا.

٤ – أسباب أخرى:

إلى جانب نشاط الشباب وحبهم للمغامرة، وتحدي المجهول، يحمل في ثناياه دوافع نفسية حدت بالمهاجرين أن يتخذوا قراراتهم بالهجرة السرية، كما يدخل في هذا العامل عدة متغيرات نفسية واجتماعية، بالإضافة إلى الأبعاد

النفسية التي تجعل البعض يميل إلى المغامرة، إضافة إلى متغيرات حجم الأسرة وموقعها الطبقي، وفرصها المختلفة والحالة الاجتماعية الزوجية للمهاجر، عمر المهاجر وما يرتبط بهذا العمر من إقدام على إتيان بعض الأفعال والإحجام عنها فضلا عن محاكاة بعض الأقارب والأصدقاء، كما تلعب الأسباب والعوامل الشخصية فعلها هي الأخرى، في تسهيل الهجرة السرية أو الحد منها، فنظرة الفرد إلى مفهوم التغير وقبوله أو رفضه، لما استجد على البيئة المحيطة به ترجع إلى أسباب شخصية قد تدفع بالبعض إلى ترك مسقط رأسه.

– رسم بياني رقم (١٠) يبين أسباب الهجرة السرية من وجهة نظر الصحيفة:

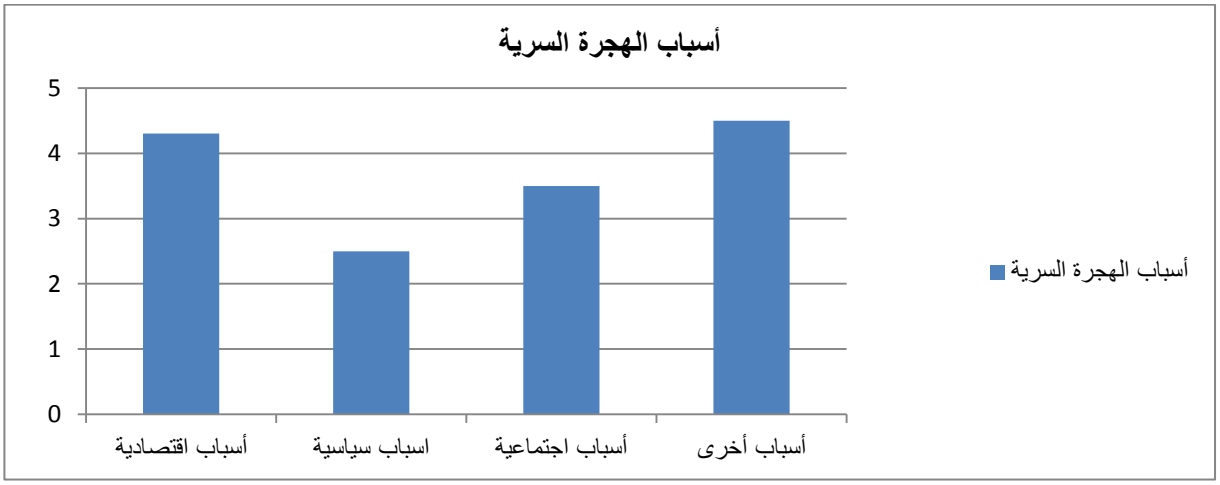

١١ – الفئة العمرية للمهاجرين السريين:

يستنتج من خلال الجدول الخاص بموضوع الفئة العمرية للمهاجرين السريين، أن فئة الشباب هي الفئة الأكثر عرضة للهجرة السرية، نظرا للمشاكل التي يعاني منها الشباب اليوم ولعدم نضجهم ووعيهم بمخاطر المغامرة وذلك بنسبة (٧٨.٥٧%)، فالعملية التوزيعية للثروة الوطنية ارتبطت بالعديد من المشكلات التي عرفها المجتمع الجزائري عبر مراحل مختلفة، والواقع أنه عندما يتضاعف عدد الشباب الحاصلين على الشهادات الجامعية وشهادات التكوين المتخصص، وتعجز مؤسسات المجتمع عن استيعاب هذا العدد الهائل من الشباب و تحقيق حد أدنى من طموحاتهم، وعندما تعجز المؤسسات في تسيير تدفق الشباب من الأرياف نحو المدن، فإنهم سوف يعانون الفقر المدقع و الاغتراب الاجتماعي و يشعرون بالبؤس و القهر و الشقاء، هذا ما يؤدي إلى الزيادة في الإحباط الفردي لدى الشباب و السخط الجماعي، ومن ثم يصبح الفرد أكثر استعدادا للانخراط في الثقافة الهامشية والهجرة السرية تعتبر مظهرا من مظاهر هذه الثقافة وتعد الملجأ والمتنفس الأمثل لتأكيد الذات وتحقيق الهوية فيما تشكل بقية الفئات العمرية نسبا متفاوتة وذلك في ظل ارتفاع عدد المهاجرين السريين الذين تم إنقاذهم أو توقيفهم في عرض المياه الإقليمية من مختلف شرائح المجتمع، ولو أن مغامرات الحرقة بدليل أن وحدات البحرية سجلت ضمن الموقوفين في عرض البحر شيخا في السبعين من العمر كان يريد الالتحاق بجزيرة "سردينيا" الإيطالية، كما تم توقيف طفل قاصر لا يتجاوز الأربع سنوات كان برفقة أمه على متن قارب تقليدي الصنع تم اعتراض مساره.

– رسم بياني رقم (١١) يبين الفئة العمرية للمهاجرين السريين من خلال الصحيفة

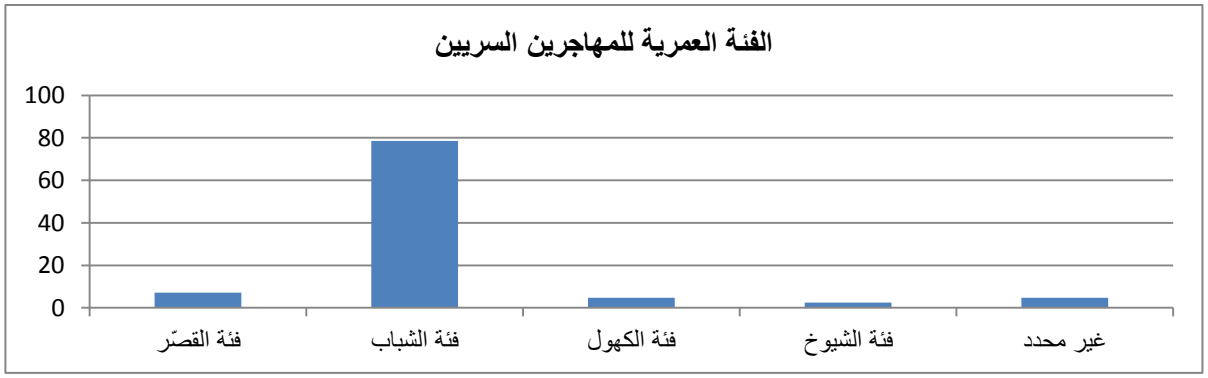

١٢ – فئة نوعية الجمهور المخاطب:

بتنوع وتشابك وتعقد ظاهرة الهجرة السرية، وتزايد الدور الذي يلعبه الإعلام في الحياة، كلها عوامل أدت إلى اتساع دائرة المهتمين بظاهرة الهجرة السرية، وتعدد الجهات المعنية بجوانبها المختلفة، ويلاحظ في المعطيات الإحصائية في الجدول رقم (١٢) أن النسبة الغالبة من مواد العينة موجهة إلى الجمهور العام، وهذه المسألة طبيعية نظرا لحقيقة أن الصحيفة اليومية موجهة أساسا للجمهور العام، ومن اللافت أن يكون الجمهور بصفة عامة هو الجمهور المستهدف(المخاطب)، في أكبر نسبة من المواد موجهة لشريحة اجتماعية كبيرة (٦٤.٢٨%)، ويعود ذلك إلى أن معظم المواد الإعلامية إخبارية وهي موجهة بصورة عامة، وهي لا تخاطب فئة معينة، وهي لا تخاطب فئة معينة، وهذا ما يؤكد حرص الصحيفة على تقديم خطاب إعلامي يوجه إلى الجمهور العام. واحتلت المرتبة الثانية المواد الموجهة أساسا إلى رجال الأمن، والمتعلقة بقضايا وجوانب ذات صفة أمنية مطلقة، وخاصة ما يتعلق بأساليب المواجهة، وردود الفعل، والإجراءات الأمنية المطلوب اتخاذها والدروس الأمنية التي يجب استخلاصها، ورغبة الجريدة في توجيه رسائل خاصة إلى رجال الأمن وقوات خفر السواحل وقوات الدرك الوطني، وقد بلغت نسبة المواد التي تخاطب أساسا رجال الأمن (١٩.٠٤ %)، فيما لم تبلغ نسبة المواد الموجهة إلى شرائح اجتماعية متميزة سوى (٠٩.٥٢ %)، ويرى الباحث أن هذا يعكس خللا في التغطية التي تقدمها الصحيفة، فالتركيز على مخاطبة الجمهور العام لا تعطي بالضرورة توجيه رسائل خاصة لشرائح متميزة داخل هذا الجمهور العام لأن هذا في شأنه أن يعطي للتغطية طابعا واقعيا ويزيد من مقدرتها على التأثير.

– رسم بياني رقم (١٢) يبين نوعية الجمهور المخاطب من وجهة نظر الصحيفة:

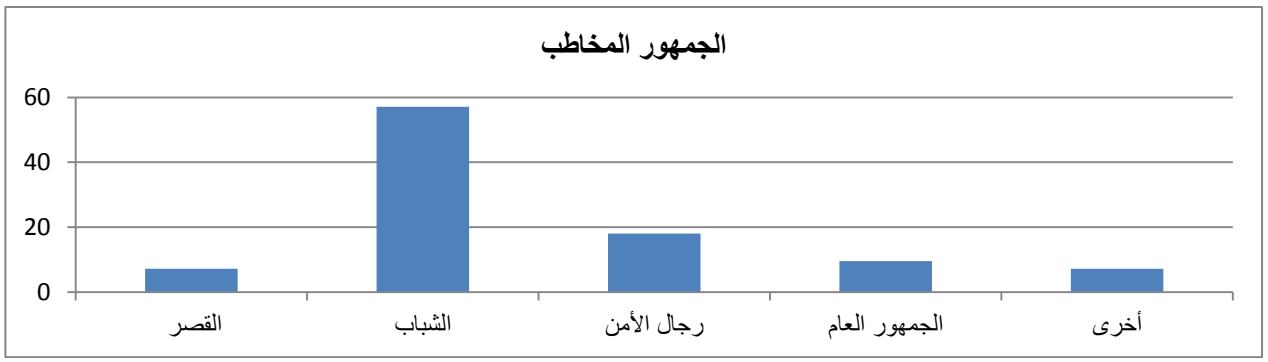

١٣ – **فئة الاتجاهات التي تعالج من خلالها الصحيفة:** حيث اعتبرت الهجرة السرية حسب الدراسة المعنونة بالهجرة غير الشرعية والجريمة عبر الصحافة الإسبانية، والتي قامت بها الباحثة: "كريستينا فيلالوبوس"، عن مجموعة البحث في الثقافة ووسائل الاتصال، قسم الصحافة "جامعة إشبيلية" بإسبانيا، مؤثرة ومساهمة في الاعتداء على القيم العليا للمجتمع المحلي، فالقيم في المجتمع متدرجة في الأهمية بحسب مخاطر انتهاكها، ولكل مجتمع قيمه التي يحرص عليها على أساس أولوياتها فيما يعرف(بسلم القيم) ولكل مستوى من هذه القيم يظهر المجتمع رد فعل يختلف نطاقه وشدّته إذا انتهكت هذه القيم، وعلى قمّة هذا السلم توجد القيم الأساسية العليا (Base values) التي بدونها ينهار صرح المجتمع ولذلك يكون المجتمع شديد الحرص عليها وفي مجتمعاتنا العربية والإسلامية تكون القيم الدينية والوطنية والشرف في قمة هذه القيم، ونظرًا لخطورة هذه الجرائم المتصلة بالقيم العليا للمجتمع يجب الاقتراب الإعلامي منها بمنتهى الحذر ولذا لابد من تحديد ما ينشر وما لا يجب نشره. مما سبق لنا أنّ أهم الاتجاهات المطروحة كانت الجانب الاجتماعي والديني بين الاتجاهات الأخرى التي لم يتم التركيز عليها بشكل كبير، وعلى ما يبدو أن حساسية أو نوعا من الجمود في معالجة القالب العام للاتجاه نحو ظاهرة الهجرة السرية في الأعداد المدروسة، وقد يفسر ذلك بالعديد من الأسباب أن معظم المصادر التي تعتمد عليها الصحيفة المدروسة إما مصادر رسمية أو وكالات أنباء عالمية، أو خبرات صحفيين محليين غير معتمدة على الباحثين أو المفكرين ربما لاحتكامها إلى الوفرة وعدم الإتاحة أو لوجود ضوابط رسمية تحكم معالجتها للظاهرة، الأمر الذي يجعل الاتجاه يأخذ طابعا كلاسيكيا ويغلب عليه طابعا من التسطيح والتبسيط لمعالجة الظاهرة. حيث يشير الجدول رقم (١٣) إلى أن الاتجاه من وجهة نظر اجتماعية كان هو الأكثر اهتماما من طرف الجريدة المدروسة وذلك بنسبة (٣٥.٧١%)، فيما جاءت مختلف المواد الإعلامية باتجاه غير محدد بنسبة (١٦.٦٦%)، كما كانت نسبة اعتماد الجريدة وصحف العينة المدروسة على الاتجاه العقلاني العلمي وكذا الاتجاه الرامي إلى تعزيز الوطنية واللعب على القيم الرامية للوطنية بنسبة (٩.٥٢%)، كما جاء الاتجاه الأخلاقي والمثالي في الرتبة الأخيرة بنسبة (٤.٧٦%).

– **رسم بياني رقم (١٣) يبين اتجاهات معالجة الصحيفة للهجرة السرية**

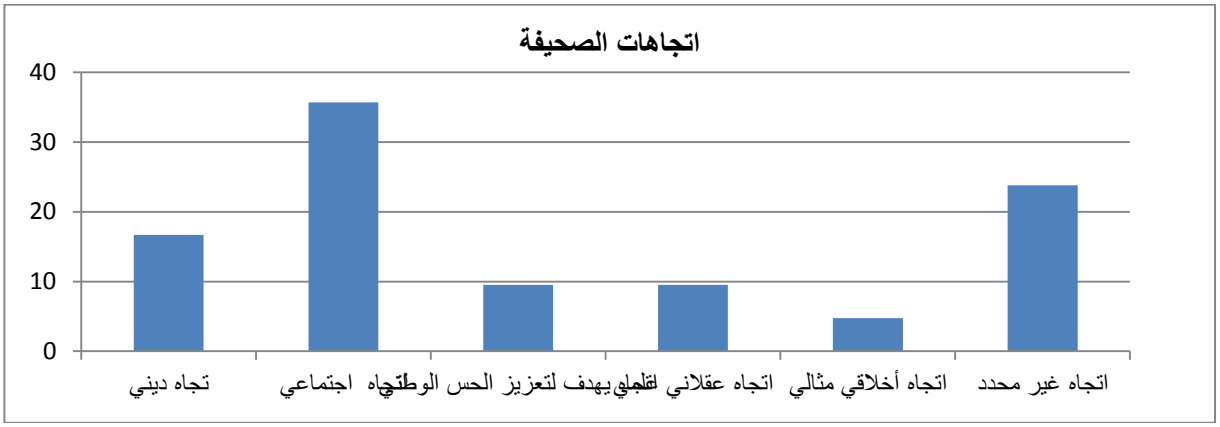

ومما سبق يتبين لنا أن أهم الاتجاهات المطروحة كانت الجانب الاجتماعي والديني من بين الاتجاهات الأخرى التي لم يتم التركيز عليها بشكل كبير، وعلى ما يبدو أن هناك حساسية أو نوعا ما من الجمود في معالجة القالب العام للاتجاه نحو الهجرة السرية من خلال أعداد العينة المدروسة.

وقد يفسر ذلك بالعديد من الأسباب : أن معظم المصادر التي تعتمد عليها الجريدة هي إما مصادر رسمية أو وكالات أنباء أو خبرات صحفيين محليين غير معتمدة على الباحثين أو المفكرين، ربما لاحتكامها إلى الوفرة وعدم الإتاحة، أو لوجود ضوابط رسمية تحكم معالجتها للظاهرة، الأمر الذي جعل الاتجاه يأخذ طابعا كلاسيكيا، ويغلب عليه طابع من التسطيح والتبسيط في معالجة الظاهرة.

١٤ – فئة الوسيلة المستعملة في عملية الهجرة السرية:

ما يبرز أن وسيلة الهجرة السرية المستعملة في الجزائر هي القوارب الخشبية حسب الصحافة المكتوبة، حيث جاءت نتائج الدراسة لتؤكد معلومات مفادها وجود شبكات مختصة في تنظيم رحلات الهجرة السرية عن طريق القوارب الخشبية، وغالبيتها تصنع لغرض صيد الأسماك فقط، وهذه القوارب تتم صناعتها من الأخشاب التي تنمو في المناطق الساحلية وتعرف باسم شجرة الأثل وتستغرق صناعتها ٦٠ يوماً تقريباً، ويتم ذلك على مستوى المناطق الجبلية بحيث يقوم بارونات التهجير بجمع المبالغ المالية من المهاجرين السريين "الحراقة" والاتفاق معهم على مواعيد ومكان الانطلاق، في حين يعملون هم على توفير المحركات والقوارب الخشبية، بالتعاون مع أفراد الشبكة وذلك لتجهيز القوارب الخشبية تحضيرا لعملية الهجرة السرية، ويتم استعمال هذه الوسائل بطريقتين كما قدمته الجريدة:

الطريقة الأولى: هي طريقة تستعمل على نطاق محدود مقارنة بالطريقة الثانية وتكون بالاختباء داخل قاعات المحركات المخصصة لتخزين الحاويات المحملة بمختلف البضائع، وأكثر الموانئ تسجيلا لهذه الحالات هما مينائي "عنابة" و "سكيكدة"، في الشرق الجزائري.

الطريقة الثانية: المغامرة هنا تكون بامتطاء زوارق خشبية أو مطاطية، وهذه الطريقة تخضع لقوانين شبكات التهجير، والتي ساهمت في تطوير هذه القوانين مع مرور الوقت،

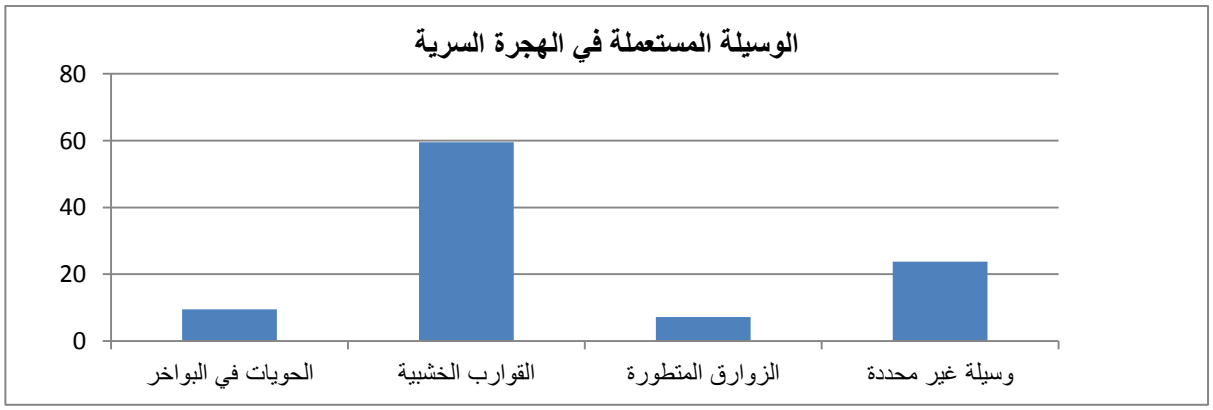

١٥ – فئة الحالة الاجتماعية للمهاجرين السريين:

يبين الجدول رقم (١٥) أن الصحيفة اعتبرت أن اكبر فئة من المهاجرين السريين هم من فئة البطالين وذلك بنسبة (٧٣.٨٠ %)، فهذه الفئة تحاول عمل المستحيل للحصول على فرصة عمل من أجل تحقيق متطلبات العيش الكريم ولو على حساب أنفسهم، وقد كشفت دراسة حول الهجرة السرية، أعدت من قبل مختصين في علم النفس بعاصمة الغرب الجزائري وهران، أن البطالة تعد العامل الأساسي الذي يدفع الشباب إلى اللجوء للهجرة السرية حيث يرى

٢٣٥ شاب من بين ٣١٢ تم استجوابهم عبر البلديات ٢٦ التابعة لولاية وهران، بأن البطالة تعتبر السبب الرئيسي لظاهرة الهجرة السرية إلى جانب الفقر وغلاء المعيشة، ونقص الثقة في الإدارة العمومية ومؤسسات الدولة، وهو ما يدفعهم إلى المغامرة بحياتهم و البحث الدائم عن ظروف معيشية أحسن في الضفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط. كما توصلت هذه الدراسة التي بادرت بها مديرية الشبيبة والرياضة لولاية وهران التي تعيش ظاهرة "الهجرة السرية" بالتنسيق مع الاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية وقدمت نتائجها خلال الملتقى الوطني حول "الهجرة السرية بوهران، توصلت إلى أن نصف الشريحة التي تم استجوابها اعترفت بأنها مهتمة بالهجرة السرية "الحرقة" لتحسين المستوى المعيشي. كما يرى الخبير الاجتماعي الجزائري الدكتور عبد الناصر جابي، أن ظاهرة الحراقة تعد بشكل ما نتيجة نسب البطالة العالية، وسوء الحالة الثقافية والاجتماعية للشباب، ما أفرز فشل اندماج الشباب في المجتمع المحلي، وبالتالي فظاهرة الهجرة السرية تتطلب مقاربة أكثر شمولية من تلك التي تحصرها في الاعتبارات الاقتصادية، لأنها تعد أكبر تعبير عن فشل اندماج الشباب في المجتمع، إضافة إلى بعض العوامل الاجتماعية على غرار تفكك خلية الأسرة و اختلال ميزان القيم، كما أن البحث الجامعي لم يول قدرا كبيرا من الأهمية لهذه الظاهرة وأبعادها المقلقة في بلد تزيد احتياطا ته عن ١١٠ مليار دولار.

– رسم بياني(١٥) يبين الحالة الاجتماعية للمهاجرين السريين من خلال الصحيفة:

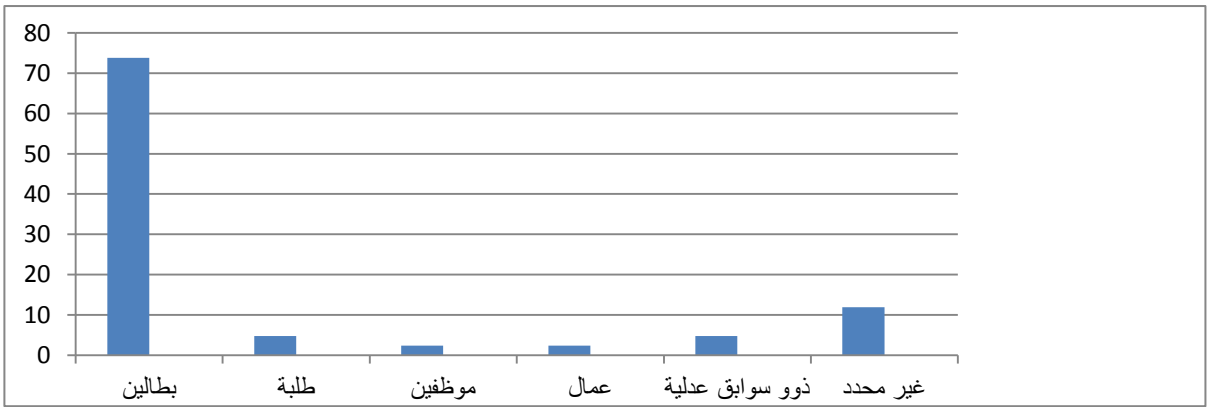

إذ لم تكن ظاهرة البطالة معروفة في الجزائر خلال سنوات الرخاء الاقتصادي في سنوات الستينات والسبعينات، وإلى منتصف الثمانينات بحكم الموارد البترولية الكافية نتيجة ارتفاع أسعار البترول آنذاك. فإنه ما أن بدأت هذه الأسعار في الانخفاض مع منتصف الثمانينات حتى بدأت هذه الظاهرة في البروز، بل وفي مدة قصيرة أصبحت تشكل أحدى أهم الانشغالات والتحديات الاقتصادية والاجتماعية للمؤسسات الرسمية وغير الرسمية. حيث تشير العديد من التقارير الرسمية إلى أن مستوى البطالة في الجزائر بدأ في الارتفاع من ١٧ % في ١٩٨٧، إلى ٢٨ % سنة ١٩٩٥ ليصل حدود ٣٠% سنة ١٩٩٩.(أحمية سليمان: ٢٠٠٩، ص ١٤).

١٦ – فئة جنس المهاجرين السريين:

يتبين لنا من خلال الجدول رقم (١٦) أن المهاجرين السريين في الغالب يكونون من جنس الذكور، حيث بلغت نسبة المهاجرين الذكور من خلال الصحيفة (٩٠.٤٧ %) وهذا أمر متوقع ويعكس تأثير الطبيعة الانتقائية للهجرة بالنسبة للجنس والعمر، وبالرغم من كل هذا فالتغييرات الطارئة في المجتمع الجزائري، أدت إلى أن الهجرة السرّية لم

تعد حلما ذكوريا ومشروعا يخصّ الرجال القادرين على خوض معترك البحار. فقد أضحت الهجرة قضيّة تشغل بال النساء، خاصّة بعد استشراء فكرتها– الهجرة السرية–، حيث بلغت نسبة الإناث (٠٤.٧٦ %)، فالراغبات في الهجرة من الإناث يعشن على هامش المجتمع فهنّ مطلقات وأرامل وعوانس وزوجات مكسورات الخاطر وحوامل، ووجودهنّ على ظهر القوارب العابرة يجعلهنّ عرضة للممارسات التي تنمّ على قيم المجتمع الذكوري ونظرته إلى المرأة المغامرة التي تفتقر إلى قوامة الرجل، فصورة المرأة انفلتت من نسق التنميط المعتاد إذ تعدّدت تجارب النساء واختلفت نظرتهنّ إلى الحياة وإلى موقعهنّ في المجتمع.

– رسم بياني رقم (١٦) يبين جنس المهاجرين السريين حسب الصحيفة:

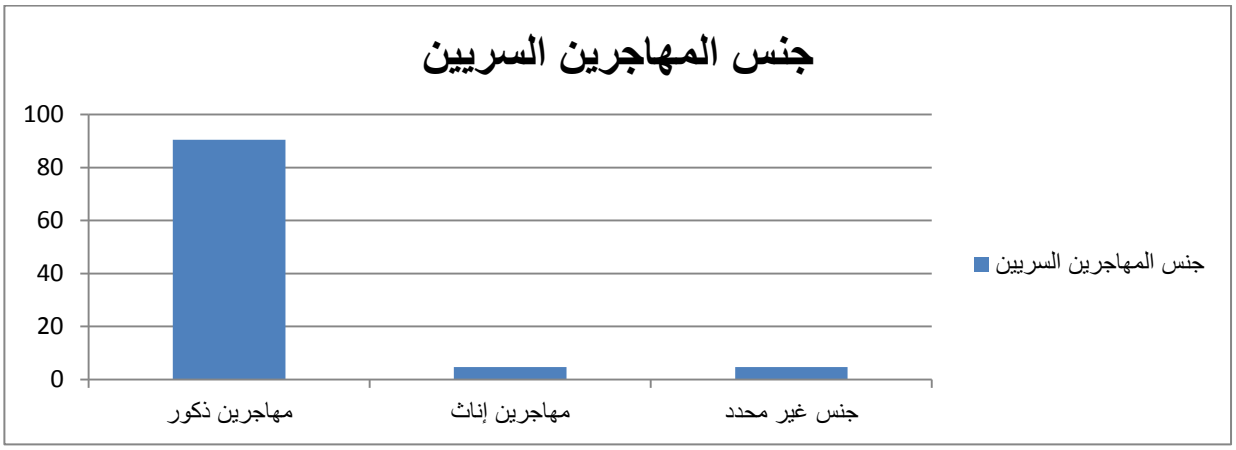

١٧ – فئة مكان انطلاق المهاجرين السريين:

يتضح من خلال الجدول رقم (١٧) أن الجهة الشرقية تمثل أكبر نسبة لانطلاق المهاجرين السريين، وذلك بنسبة (٥١.٣٥ %)، ومن أهم هذه الشواطئ التي وردت في الصحيفة نذكر المنظر الجميل، خروبة، رفاس، زهوان، راس الحمراء، سيدي سالم، هذا الأخير الذي يعد شاطئ إمبراطورية الهجرة السرية في مدينة عنابة، حيث شكلت شواطئ هذه المدينة الوجهة الرئيسية للمهاجرين السريين، بسبب قربها الجغرافي لجزيرة سردينيا الإيطالية، إضافة إلى ميناء سكيكدة، شواطئ الطارف (الحناية) والقالة، وهي أهم شواطئ الانطلاق في الجهة الشرقية من الجزائر، فيما شكلت جهة الوسط ما نسبته (٢٤.٣٢ %)، ومن بين أهم الشواطئ نجد: شاطئ دلس ببومرداس، الشلف، أما الجهة الغربية وبنسبة (٢٤.٣٢ %)، ونجد سواحل وهران: كاب بلون، كاب فالكون، بوسفر، ساحل عين تموشنت : بوجزار ، مداغ (بني صاف)، ساسل ، تارقة، ساحل تلمسان : آقلة، المخلد. سواحل مستغانم: سونكتار، رأس كراميس.

– رسم بياني رقم (١٧) يبين مكان انطلاق المهاجرين السريين حسب الصحيفة:

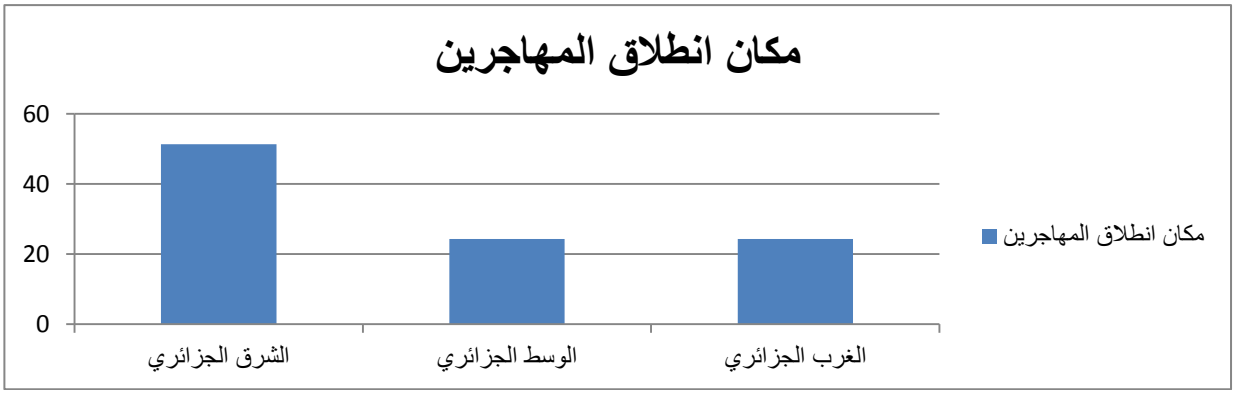

١٨ – فئة وجهة المهاجرين السريين:

ما يلاحظ من خلال الجدول المعبر عن موضوع الوجهة أن البلد المقصود من طرف المهاجرين السريين هو **إيطاليا**، بنسبة (٥١.٢٨ %)، وذلك عبر جزيرة "**لامبيدوزا** " التي تقع في البحر المتوسط بين مالطا وتونس، بسبب قربها من السواحل الجزائرية، وتعتبر من الوجهات المفضلة للمهاجرين السريين القادمين من الجزائر. وقد ذاعت شهرة الجزيرة بسبب ما تتناقله وسائل الإعلام بين الحين والآخر من أخبار غرق قوارب المهاجرين قبالة سواحلها أو وصولهم بأعداد كبيرة إليها، بالإضافة إلى جزيرة "**صقلية**"، وجزيرة "**سردينيا**"، هذه الأخيرة تشكل بوابة الدخول نحو إيطاليا ومنها نحو كامل الدول الأوروبية، فيما شكلت اسبانيا الوجهة الثانية بنسبة (٢٨.٢٠ %)، حيث أن المهاجرين السريين الذين ينطلقون من السواحل الغربية، تكون وجهتهم الرئيسية جزر "**البليار**" الاسبانية باعتبار قربها من السواحل الجزائرية، إضافة إلى جزيرتي "**ألميريا**" و "**أليكانت**"، في حين يتخذ عدد آخر من المهاجرين طريقا أطول قليلا، لكنه يعتبر أضمن من الأول وهو – تلمسان، مغنية – مباشرة على الحدود مع المملكة المغربية، لتكون الوجهة إما جزر "**الكناري**"، أو ما يعرف بالجزر الخضراء، أو نحو جزيرتي "**سبتة**" و"**مليلية**" ومنهما نحو السواحل الاسبانية. أما الوجهة نحو تونس فجاءت بنسبة (١٠.٢٥ %)، فيما سلك المهاجرون السريّون وجهات مختلفة حسب الصحيفة بنسبة (٠٥.١٢ %)، وتتمثل هذه الوجهات في:

– تركيا: ومن ثمّ الهجرة نحو اليونان عبر "اسطنبول"، "كونكابي"، "أكسا راي".

– اليونان: عبر "إيديرنا"، و "أوزنكوبرو" و" إيناز" نحو "ديموتيكوس"، ثم مدينة "أثينا"، ومن ثم نحو أوروبا كلّ حسب وجهته. – **رسم بياني رقم (١٨) يبين وجهة المهاجرين السريين حسب الصحيفة:**

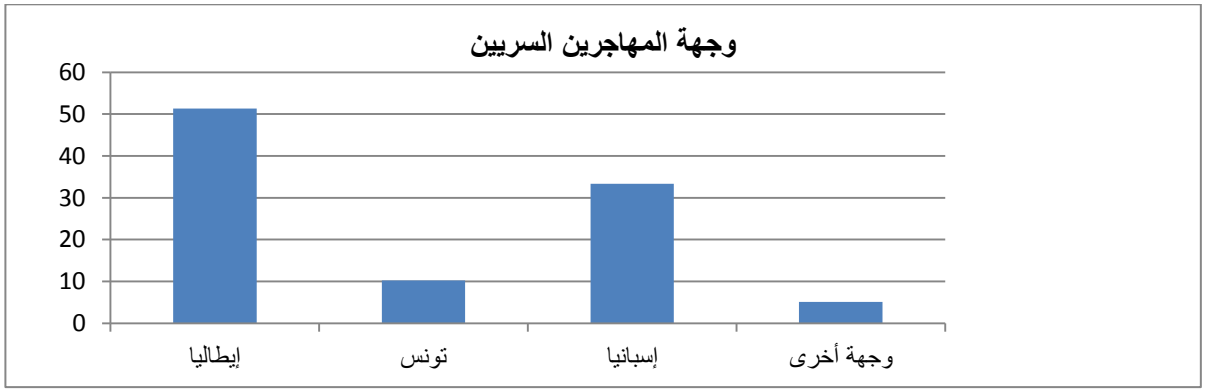

١٩ – فئة مصير المهاجرين السريين:

من خلال الجدول رقم (١٩) نجد أن أكثر المواضيع مناقشة في الجريدة بالنسبة لظاهرة الهجرة السرية، موضوع التوقيف، حيث تمّ التركيز على عمليات المطاردة والتوقيف التي يقوم بها حراس السواحل، حيث أولت الجريدة اهتمام كبير بعمليات التوقيف، لأنها تعبر عن جانب كبير من الميدانية والمتابعة للموضوع بنسبة (٢٣.٦٨ %)، في حين شكلت الأخبار المتعلقة بحالات الفقدان نسبة (٢٣.٦٨%) كذلك، ويلي ذلك مواضيع نجاح المهاجرين السريين في الوصول إلى الضفة الأخرى بنسبة (١٨.٤٢ %)، ويندرج تحت هاته النسبة فئة المهاجرين السريين الذين تعرضوا للطرد، بعد أن نجحوا في عبور البحر (١٣.١٥%)، فكان مصيرهم إما الإعادة إلى بلدانهم أو الحجز أو الوضع في مراكز خاصة، حيث أكد رئيس جمعية المشعل للشباب أن جامعة الدول العربية كشفت في تقريرها حول الهجرة السرية المغاربية نحو أوروبا خلال الأشهر الأربعة الأولى من عام ٢٠٠٨ أن ٨٧٠ ألف مهاجرا سريا، يتواجدون على الأراضي الاسبانية من بينهم ما لا يقل عن ٦٠٠٠ مهاجر جزائري، وبدوره كشف رئيس جمعية مفقودي البحر بولاية **وهران**، أن هذه الأخيرة أحصت حوالي ٧٢٠ حالة فقدان من جراء الهجرة السرية في ولايات الغرب الجزائري منذ بداية سنة ٢٠٠٦، وذلك بناءا على الشهادات التي تسجلها عائلات المفقودين من ولايات الغرب، حيث واستنادا إلى مصادر رسمية وصل عدد المفقودين من المهاجرين السريين أكثر من ١١٠٠ مهاجر بالسواحل الجزائرية وهذا في الفترة الممتدة بين جانفي – أوت ٢٠٠٨. مع الإشارة إلى انتشال ٨٤ جثة سنة ٢٠٠٨ لم يتم التعرف على هوية ٨٠ % من أصحابها.

– رسم بياني رقم (١٩) يبين مصير المهاجرين السريين حسب الصحيفة:

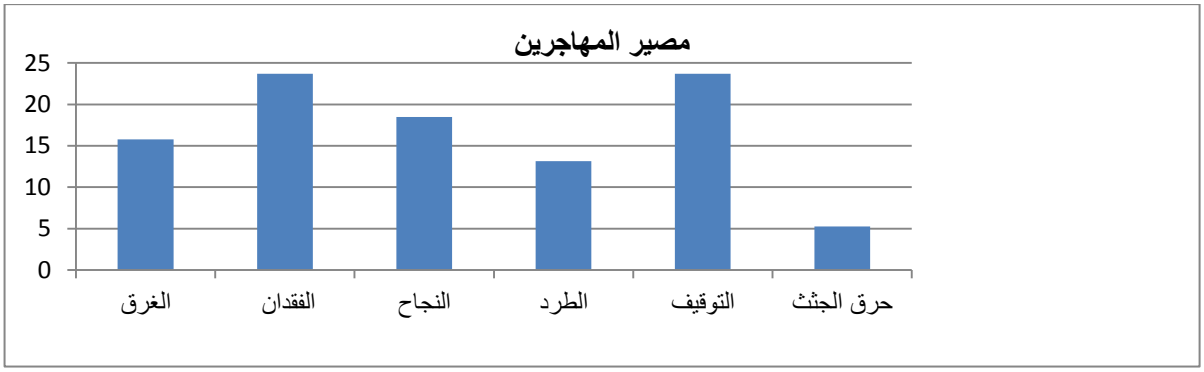

٢٠ – فئة آثار الهجرة السرية:

تترتب عن الهجرة بشكل عام والهجرة السرية بالخصوص آثار كثيرة، سواء على المدى القريب، المتوسط أو البعيد، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة أو المجتمع ككل، كما أن لها تأثيرات على الحياة في الوطن الأصلي، وتأثيرات على المهجر، ويمكن أن تخترق تأثيراتها البنيات النفسية والاجتماعية للأفراد، وقد ركّزت أعداد العينة على الآثار الناجمة عن الهجرة السرية والمتمثلة في الآثار الاقتصادية والاجتماعية وهذا بنسبة (٤٠.٤٧%)، من خلال أن الهجرة السرية تؤدي إلى إحداث انقلاب صامت في الأوضاع الاقتصادية، وتسببها في تكوين نمط استهلاكي جديد يتسم بالإسراف الشديد، وبالمظهرية وحيازة آخر ما تقدمه البلدان المتقدمة من مستحدثات وسلع جديدة في مجال الاستهلاك الشخصي في الوقت الذي لا يتم فيه اكتساب ثقافة الانتفاع بهذه المخترعات فيما يتعلق بالصدمة التي

يعيشها المهاجرون السريون في أوروبا إثر اصطدام ثقافتهم الزمنية ليس فقط بالثقافة الزمنية للمجتمع المستقبل وإنما أيضًا بمختلف التحديدات والإكراهات الزمنية التي تضعها الدول المستقبلة كشروط لتقديم طلبات الإقامة، أو تجديد وثائق الإقامة، أو للتصريح بالعمل أو لاستكمال الزواج من الناحية القانونية، كما يضطر المهاجرون السريون في سياق المجتمع المستقبل إلى تكييف زمنهم المرتبط بمناسبات دينية ووطنية، والزمن الذي تفرضه مناسبات المجتمع المستقبل، ثم إنّ زمنهم التاريخي يتحمل بدوره انعكاسات التشويه والصمت والتجاهل وكل ذلك يؤثر في المهاجر، وفي ثقافة المهاجر، وبصفة غير مباشرة في مجتمع الانطلاق. أمّا على مستوى الآثار المادية فقد ركزت عليها الجريدة بنسبة (٧.١٤ %)، وقد تمثلت في الخسائر البشرية الكبيرة التي تعرفها صفوف الشباب الراغبين والحالمين بالهجرة إلى الضفة الأخرى، وما الأرقام المقدمة من طرف مصالح القيادة في الدولة الجزائرية إلا دليل على ذلك، إضافة إلى تقليص حجم قوى العمل الإنتاجية كما ونوعا، ما يشكل إحدى معوقات التنمية الشاملة، كما جاء التركيز على جميع الآثار بنسبة هامة(٢٣.٨٠ %) ومن ذلك التركيز على جميع الآثار لتبيان الآثار السابقة، الآثار المادية، الآثار السياسية والوطنية، الآثار الاقتصادية والاجتماعية والنفسية، وذلك من خلال محاولتها تقديم رؤية متكاملة ومتناسقة للجوانب المختلفة للظاهرة، بحيث تنقل صورة دقيقة تتضمن الجوانب المختلفة وبذلك تكون أكثر إقناعا، وبالتالي أكثر مقدرة على التأثير على الشرائح المختلفة من القراء.

كما اهتمت صحف عينة الدراسة بالآثار النفسية للهجرة السرية على الشباب المرشح للقيام بهذه المغامرة بنسبة (٩.٥٢ %)، واعتبرت الظاهرة تجليات للميكانيزمات النفسية التي جعلت من الشباب يهاجر بطرق غير مشروعة، كالحيل الدفاعية حيث ورد في المعالجة الصحفية للظاهرة اعتماد الجريدة لمصطلحات نفسية مثل(الهروب من الواقع، الصورة السيئة التي يكونها الشاب حول ذاته) من أجل التغلب على الصراع النفسي والخروج من دائرة الإحباط الذي يعيشه.

إضافة إلى حالات عدم التكيف النفسي التي تعاني منها الشخصية مثل: عدم الثقة بالنفس، القلق المستمر، العنف الاجتماعي، المخاوف المرضية، وغياب الإحساس بالتكامل الداخلي في الشخصية، والعقد النفسية التي تعتري الشخصية مثل: عقدة أوديب، عقدة النقص، عقدة الاضطهاد، مع ضعف أحاسيس الشعور بالهوية مثل : الشعور بالانتماء الشعور بالحب الثقة بالنفس الشعور بالمكانة غياب الإحساس بالأمن.

– رسم بياني رقم (٢٠) يبين آثار الهجرة السرية من خلال الصحيفة:

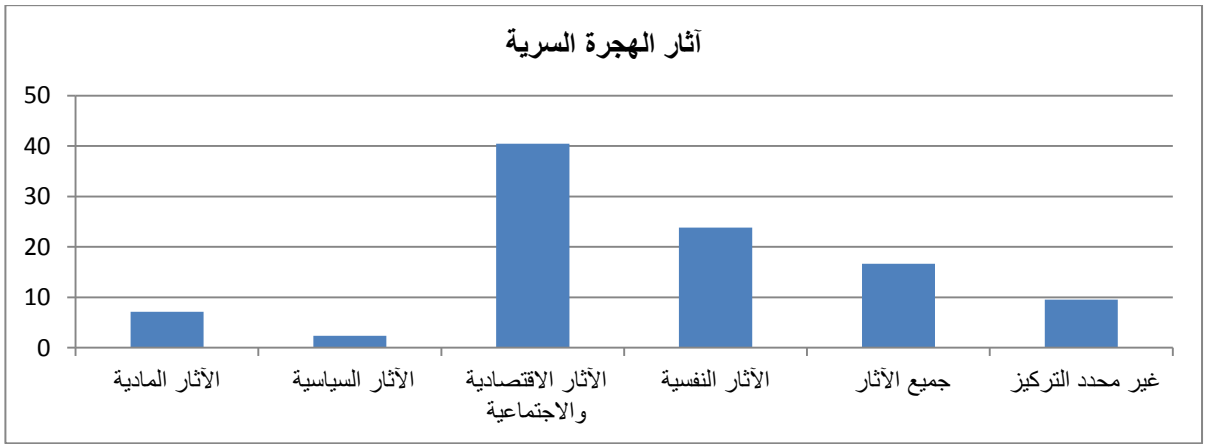

٢١ – أساليب المواجهة المقترحة:

تتبنى الإستراتيجية الجزائرية المواجهة التكاملية لظاهرة الهجرة السرية، وذلك لأن أسباب الظاهرة متعددة ولكنها متكاملة. صحيح أن المواجهة الأمنية العلاجية بمعنى التصدي امنيا لنشاط شبكات الهجرة السرية، تحتل الصدارة في هذه الإستراتيجية، إلا أن المعالجة الوقائية التي تشمل مواجهة شبكات الهجرة السرية، يجري تأكيدها والتركيز عليها أيضا، وقد احتلت المواجهة من خلال معالجة قضايا التنمية المرتبة الأولى بنسبة بلغت (٤٥.٢٣ %) وهي نسبة تتطابق مع الواقع، إذ من المؤكد أن البعد الاقتصادي التنموي يشكل جانبا مهما من جوانب فهم ظاهرة الهجرة السرية والتصدي لها، كما يوضح الجدول أن عدد المواد الإعلامية التي ركزت على المواجهة الأمنية لظاهرة الهجرة السرية، احتلت المرتبة (٢) بنسبة بلغت (٢١.٤٢ %)، ويعود ذلك إلى أهمية المواجهة الأمنية المباشرة لظاهرة الهجرة السرية، ونظرا لان المحور الأمني هو البارز، في عمليات المواجهة بكل ما يتضمنه من جهود أمنية من طرف:"قوات الدرك الوطني، القوات الإقليمية لحراس الشواطئ، مصالح الشرطة القضائية، قيادة القوات البحرية" وهذا لاحتواء ظاهرة "الحرقة"، وبالتالي فمن المنصف أن ترتفع نسبة المواد التي أبرزت المواجهة الأمنية لظاهرة السرية.

– رسم بياني رقم (٢١) يبين أساليب المواجهة المقترحة من وجهة نظر الصحيفة:

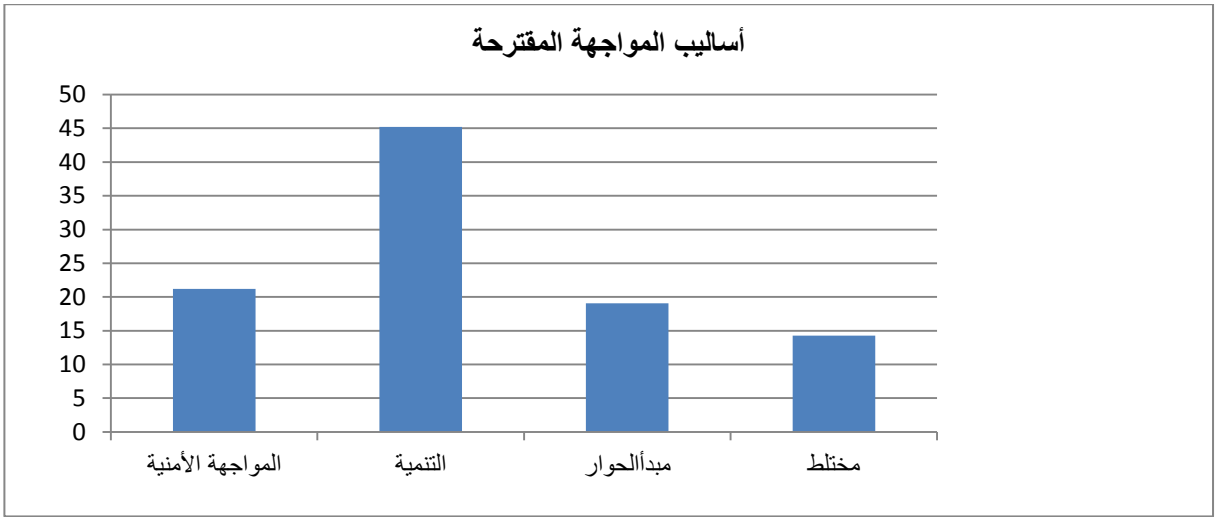

وجاءت المواجهة عن طريق الحوار مع الشباب بنسبة (١٩.٠٤ %)، ومرد ذلك الرغبة في إسهام الشخصيات الوطنية الفكرية، السياسية، الثقافية وحتى الدينية، لفتح باب الحوار لمناقشة ظاهرة الهجرة السرية بغرض تشخيصها، والتماس انسب السبل للتصدي لها، عبر عنصر الشباب لان هاته الفئة من المجتمع، في حاجة إلى ضوء كاشف ينير له الطريق، ويقدم له الحلول الناجعة والمعالجات الجادة المعمقة في سبيل وقايتهم. كما جاءت المواجهة المختلطة، التي ترتكز على الأبعاد الأمنية، السياسية، الدينية والتنموية للظاهرة المدروسة بنسبة (١٤.٢٨%) ويعود هذا إلى مدى تشابك الجوانب المختلفة لهذه الظاهرة المعقدة، والتي قد يصعب أحيانا فهمها وتفسيرها من خلال التركيز على بعد واحد من أبعادها.

وطالما أن الدراسة الحالية تهدف إلى التحقق من العامل الأساسي الذي يدفع إلى ممارسة سلوك الهجرة السرية فقد أجرى الباحث مسحا اجتماعيا شمل: مدينة "سطيف "الواقعة في الشرق الجزائري، من أجل الوقوف على الظاهرة بالاعتماد على معارفه الشخصية و الاتصال بمكاتب المحاماة التي تكفل أصحابها بالدفاع عن المهاجرين السريين أمام الجهات القضائية، و تبعا لذلك قام الباحث بتحديد العينة (بلغ عددها ١٦ مهاجرا سريا) التي تم اختيارها وفق الضوابط التالية:

– أن تكون من الجزائريين الذكور البالغين من العمر أكثر من ٢١ عاما.

– المهاجرين السريين المرحّلين إلى الجزائر.

– المهاجرين السريين الذين باءت محاولات هجرتهم السرية بالفشل و تم القبض عليهم في حالة تلبس، وتضمن الاستبيان عددا من الأسئلة، تم اختيارها من مقياس محصلة لأربعة عوامل هي: العوامل النفسية، السياسية، الاقتصادية والاجتماعية)، جرى تطبيقه خلال الدراسة الاستطلاعية، والذي تتمثل مظاهره في:

– شعور الفرد بأن المادة هي الغاية ولم تعد وسيلة، و أن الإنسان الذي يملك الثروة هو صاحب الشأن في هذا العصر، مما ينعكس ذلك بالشعور بالضيق و القلق و الخوف من المستقبل.

– شعور الفرد بالحرمان وعدم المساواة في توزيع الثروة، و التمادي في الكسب الغير المشروع، و بفقدان الحب، و بالانفصال عن الذات عن الأخريين، مما يصاحب ذلك الشعور بأن الحياة أصبحت لا معنى لها.

– ضعف أحاسيس الشعور بالهويّة مثل: الشعور بالانتماء، الشعور بالحب، الثقة بالنفس، الشعور بالوحدة و التضامن الاجتماعي، احترام الصغير للكبير، خوف الجار على جاره، الكسب المشروع.

٠٧ – نتائج البحث:

تأسيسا على مناقشة النتائج التي أجراها الباحث في الفصل السابق، يمكننا استخلاص النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث:

١– تخصص الصحافة الجزائرية المتمثلة في العينة عددا كافيا ومقبولا من المواد الإعلامية المتعلقة بظاهرة الهجرة السرية، الأمر الذي يؤكد ازدياد الاهتمام الإعلامي بهذه الظاهرة، وإدراكها للدور الهام الذي يقوم به التناول الإعلامي لظاهرة الهجرة السرية في عملية المواجهة الشاملة لهذه الأخيرة في المجتمع الجزائري.

٢– إن الصحافة الجزائرية لا تزال ترى المهاجر السري وفق منظور نمطي لا يراعي مواصفاته الجديدة المستندة إلى تزحزح في المعايير التقليدية.

٣– إن الهجرة السرية لم تعد تقتصر على الشباب الذي لا يوحي لفظه بتوصيفات اجتماعية معينة.

٤– تؤكد الصحافة الجزائرية على وهم الهجرة الذي يهدد المهاجرين السريين وذلك من اجل تحسين ظروف معيشتهم، وغالبا ما تلوح الصحافة بالموت كخاتمة محتملة أو محتومة لراكبي مغامرة السرية.

٥– البعد التراجيدي: تبرز الصحافة الجزائرية كل مقومات الإثارة للنهايات المأساوية من اجل التدليل على وهم الهجرة السرية، إذ توظف بامتياز قاموسا خاصا يدور حول مصطلحين أساسيين هما: الوهم والموت.

٦- غالبا ما يتم استخدام لفظ "قوارب الموت" بدلا من لفظ "الباتيرا" بالاسبانية أو القارب الخشبي للتدليل أكثر على البعد التراجيدي، وفيه اتهام مضمر لشبكات التهريب باستغلال أحلام الشباب.

٧- كما نجد عددا من التعبيرات التي توحي بمعان متغيرات من قبيل "الرحلة إلى المجهول"، أو "جنة النعيم" أو "الحلم الأوروبي"، وكذلك الضحايا الذين يتحولون إلى وجبات للأسماك أو الحيتان أو قرابين لأسماك القرش.

٨- تسعى الصحافة المكتوبة الجزائرية وبشكل بارز إلى تجريم شبكات التهريب، مما يعني أن جشع المتاجرين في تهريب المهاجرين هو في حد ذاته سبب قوي من أسباب الهجرة.

٩- يلاحظ انه ما إن تتناول الصحافة موضوع الهجرة السرية من خلال استطلاعات أو تحقيقات، حتى تهرع جهات الأمن لإلقاء القبض على المرشحين للهجرة السرية أو شبكات التهريب الذين لامستهم الصحافة، وتبدو آثار الإعلام جلية هنا، وذلك ربما لتخوف المسؤولين الأمنيين من أن يتهموا بالتواطؤ أو التخاذل بخصوص مكافحة الهجرة السرية كبرنامج وطني ذي أهمية خاصة.

١٠- تبدو من خلال دراستنا هذه أن تفاصيل القبض على المتهمين، وترصّد المهربين والمرشحين للهجرة السرية مغرية خاصة في الصحف المستقلة التي تميل إلى ذكر الملابسات التي تثير فضول القارئ، ويبدو هذا جليا من خلال التحقيقات التي تستعرض خطوات ومراحل عمليات المداهمة والتعقب.

١١- مظاهر الخلل في المعالجة: الملاحظ أن الغالب في تغطية الصحافة الجزائرية لموضوع الهجرة السرية، هو اعتباره من وجهة النظر الأمنية، وذلك راجع أساسا إلى كثرة اعتماد المصادر الأمنية والقضائيّة، وأصداء المحاكم من خلال المحاضر وغيرها.

١٢- يسجل شح في توظيف أشكال التحرير الصحفي وبخاصة في مادة الرأي (التحليل مثلا) والأشكال الأخرى (الاستجواب، الاستطلاع، التحقيق)، والاكتفاء بما تنقله وكالات الأنباء والمصادر الأمنية، دون انجاز أعمال ميدانية داخل البلدات التي تتجه إليها الهجرة السرية.

١٣- هناك أسئلة منهجية يجب أن تثار إعلاميا حول الهجرة السرية مثل: هل دواعي الهجرة الخروج من الفقر أم الاغتناء السريع، أم البحث عن أجواء الحرية مع إمكانية تحقيق الذات بعيدا عن الرقابة؟ فمثل هذه الأسئلة هو ما يقرب جمهور الإعلام من الفهم الحقيقي للظاهرة.

١٤- يبدو أن الهجرة السرية شكلت موضوعا مسوغا للمساحة المخصصة لمناوشات الحكومة، ولكنها تقف عند هذا الحد، ولا تتجاوزه لمسالة سياسة الدولة العامة.

١٥- من خلال دراستنا لموضوع الهجرة السرية من خلال الصحافة المكتوبة أن خطاب هذه الأخيرة ينحي باللائمة على ما يقدم عليه المهاجرون، مؤكدا بشكل يكاد يكون حصريا على ما يتعلق بصون الحياة دون الخوض في الظروف المنتجة لتصورات بأن الجنة تحت أقدام أوروبا، وأن كل شيء يسترخص في سبيل هذه الجنة.

١٦- غياب المعالجة الشمولية: إذا أخذنا كنموذج مسألة التسويات المرحلية من زمن لآخر لوضعية المهاجرين السريين من طرف السلطات الايطالية مثلا فالملاحظ أنه لا يتم تحليلها بالشكل الكافي من طرف الصحافة، ولا يمكن في إطار التحليل إسقاط فكرة الحاجة الملحة لليد العاملة الرخيصة.

فمن خلال قراءة وتحليل الجداول الإحصائية تبين أن كل من سن المهاجرين السريين ومستواهم التعليمي وغيرها، عوامل تؤثر في تصورات الشباب للإقبال على ظاهرة الهجرة السرية، وذلك انطلاقا من عوامل الدفع المتمثلة في انعدام فرص التشغيل، وجود البيروقراطية والعراقيل الإدارية، وعدم تحقيق الطموح المادي. كما يؤثر سن المهاجر السري في تصوره لعوامل الدفع بحيث كلما تقدم سنه، كلما رأى أن أسباب الهجرة الدافعة تعود إلى عدم تحقيق الطموح المادي، وهذا عكس المهاجرين من فئات السن الصغيرة الذين يرون أن الأسباب الدافعة هي انعدام فرص التشغيل ووجود البيروقراطية والعراقيل الإدارية، أما فيما يخص المستوى التعليمي للمهاجر فيمكن اعتبار أن ذوي المستوى التعليمي الابتدائي ورسوبهم المبكر يجعلهم يرون أن الأسباب الدافعة للهجرة تعود إلى انعدام فرص التشغيل وصعوبة حصولهم على مناصب شغل تلائم مستواهم التعليم، وبعد تحليل وقراءة جداول إحصائية توصلت الدراسة إلى أن كلا من مكان إقامة المهاجر السريين ومدى معرفتهم للأشخاص المقيمين بمكان الانطلاق تؤثر في تصوراتهم لاختيار مكان الانطلاق المتمثلة في قرب المكان إلى السواحل وتوفر المكان على أشخاص لتقديم المساعدة، وهي كلها عوامل تؤدي إلى الإقبال على الظاهرة، بحيث أنه كلما كانت مناطق إقامة المهاجرين باتجاه الوسط والشرق كلما كانت تصوراتهم في اختيار مكان الانطلاق نحو توفر المكان على أشخاص يقدمون لهم المساعدة، قد يكونوا أصدقاءهم أو أقاربهم يزودونهم بالمعلومات اللازم معرفتها للإقبال على الظاهرة وهم غالبا ما يكونون أعضاء في شبكات تنظيم الهجرة السرية، ويحدث العكس، أي أنه كلما كانت مناطق إقامة المهاجرين في الغرب كلما كانت تصوراتهم في اختيار مكان الانطلاق تستند إلى القرب الجغرافي حيث يفضلون الشواطئ القريبة إلى السواحل الإسبانية خاصة الشواطئ غير المحروسة نظرا لمعرفتهم واطلاعهم الواسع على خصوصيات المنطقة. وهكذا يبدو أن الصحافة الجزائرية لم تتعامل بالشكل الكافي مع ظاهرة الهجرة السرية في تجلية أسبابها، ومراميها وأبعادها مع استشراف آثارها.

خلاصة:

يبقى تناول الصحافة المكتوبة الجزائرية لظاهرة الهجرة السرية قد غلب عليه طابع حجم الأخبار المعتبر وهذا لتغطية النقص الذي عانت منه الصحافة المكتوبة في الحصول على المعلومات من المصادر الرسمية، رغم بعض المحاولات الإعلامية التي ميزت الصحيفة في تناولها للظاهرة، كالتفنن في توظيف الأنواع الصحفية والأساليب الصحفية، وهذا يدل على أن الجانب الأمني في التعامل مع الظاهرة جعل من الجهات المختصة تفرض تعاملا خاصا مع الظاهرة حال دون شفافية التعامل الصحفي معها، مما شكل عائقا أساسيا لوسائل الإعلام لا سيما الصحافة المكتوبة حين صياغة الرسالة الإعلامية، كما لا يمكن استثناء أو إغفال تأثير مختلف القوى الاجتماعية على الأفراد التي أدت إلى خلق تباين في الإدراك المعرفي لمضمون الرسالة الإعلامية، التي ينقلها الإعلام عامة والصحافة المكتوبة خاصة والمتعلق بظاهرة الهجرة السرية في الجزائر، وهذا بدوره شكل عائقا ثانيا في صياغة الرسالة الإعلامية كلما تعلق الأمر بظواهر وأحداث الظاهرة، ولعل هذا ما جعل الرأي العام الجزائري يقف وقفة متتبع للأحداث وليس طرفا في الحل للأزمة، وهذا ما عكسه مضمون الصحيفة في تعاملها مع ظاهرة الهجرة السرية، حيث أن القاعدة الإعلامية ترى في أهداف الرسالة الإعلامية هو التأثير، أي حدوث الاستجابة المستهدفة من هذه العملية.